

دار الشروق

إِلاَّ فاطمَة

الطبعـة الأولـى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الطبعـة الثانيـة
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلّم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

أنِيس منصُور

إلّا فاطمَة

دار الشروق

الحلقة الأولى

على حقيبة من القماش جلس « صابر » فى محطة المترو تحت أرض فيينا . . وأسند ظهره إلى حائط من الرخام أكثر برودة من الهواء الذى ينطلق من جانب إلى جانب . . كأنه يسابق الناس إلى السلالم وإلى المترو . . فالناس فى كل الاتجاهات تمشى بسرعة . . طبعًا لهم أهداف . . وطبعا الوقت عندهم من ذهب لا يضيعونه فى البحلقة فى وجوه الناس وفى أقدامهم وسيقانهم . . ونظر إلى حقيبته ، إن لونها كئيب . وتذكر أن والدته قالت له : عندما يفتحها ربنا عليك هات لك حقيبة أحسن . .

ونظر إلى حذائه : إنه جديد لامع . . لامع لأنه يمسحه فى بنطولنه من حين إلى حين . . وهى حركة عصبية لا معنى لها . . ولكن أيام المدرسة كان المدرسون يضربونه لأن حذاءه قذر . . فلم يكن يتوقف عن لعب الكرة حتى بعد أن يدق الجرس . . إنها عادة . ومعناها الآن أنه خائف . . وأن الخوف قد أعاده إلى سنوات الطفولة

البعيدة . . ومن الذى لا يخاف فى مدينة لا يعرف فيها أحدًا . ولا يعرف لغتها ولا يعرف ما الذى يمكن أن يعمل فيها . . فالذى تعلمه كله لا قيمة له . . إنه قد درس الحقوق باللغة العربية ، ما فائدة هذه القوانين : الرومانى والمدنى والجنائى والدستورى والإدارى . . لا فائدة طبعًا . ولو جاء أحد رجال الأمن وظنه متسولا أو مهربا للمخدرات وأشار بيده أن يسبقه إلى مركز الشرطة ، فإنه لا يعرف ماذا يقول . .

ـ هل تسرعت فى هذا القرار ؟

صابر يسأل نفسه بعد أن وصل إلى فيينا فى الطائرة المصرية . . لقد أفزعه المطار . . ولكنه سار فى طابور وراء الناس . . وتولد عنده شعور بالأمان ، لأن الطابور الذى أمامه ووراءه من المصريين . . إنه لا يعرف إذا سألهم ماذا يقول لهم . . وقف أمام شباك الجوازات . . وختم له الضابط جواز سفره وأشار إليه أن يتقدم وقال له مبتسمًا شيئًا ما لم يفهمه . . ولكن لابد أنه رحب به ترحيبًا شكليًا . .

وشكره صابر فى نفسه . . وخرج إلى الصالات الواسعة للمطار . . سوق . . الناس ألوان والحقائب أشكال والأصوات لهجات ولغات . . وضوضاء وروائح من الدخان ومن أشياء أخرى . . وأمام المطار . . كان الجو باردًا . .

واقترب من أحد المصريين القادمين معه من مصر وقال له : أنا لا أعرف أحدًا هنا . .

ـ لا تعرف أحدًا . . كيف جئت ؟

ـ قررت أن أجيء . وأنا متزوج وزوجتى حامل . . وكل الذى معى هو أدعية من والدتى وأملى فى الله سبحانه وتعالى أن يهدينى سواء السبيل . . وأنا مؤمن بأن الله جلت قدرته سوف يوفقنى . . الحمد لله على هذا الإيمان . . وأنا أعتقد أن الله قد استجاب لدعوات أمى فقابلت حضرتك . .

ـ كويس أن عندك مثل هذا الإيمان وهذه الثقة بالله . . ولكن لا تعرف أحدًا هنا ؟ . .

ـ لا . . معى خطاب لواحد بلدياتى . . ولكن لا أعرف كيف أصل إليه . .

ـ هل تعرف اللغة الألمانية ؟

ـ أبدًا . . والقليل جدًا من الإنجليزية .

ـ هل تعرف ما الذى يمكن أن تتعرض له هنا ؟

ـ عندى فكرة . .

ـ يعنى أنت أهلت نفسك لكل ما سوف تلقاه هنا . . على كل حال هنا مصريون كثيرون . عندى حل .

وأشار إليه أن يركب معه التاكسى . . وحاول أن يطمئنه طوال الوقت ويحكى له قصة حياته . . فهو أيضًا قد جاء إلى هذه البلاد مغامرًا . . كان فى الكويت وسافر منها إلى العراق ، ثم إلى تركيا ، ثم عبر أوروبا الشرقية إلى المانيا ثم إلى النمسا . . وعندما وصل إلى فيينا

وجد عددًا كبيرًا من المصرين . . وكلهم أولاد بلد وجدعنة . وعرضوا عليه أن يعيش معهم فى أى بيت يختاره . . . ووجد بعضهم يعيش فى غرفة واحدة وفى اثنتين وفى ثلاث . . ولكنهم جميعًا رحبوا به وطلبوا إليه ألا يشغل باله بأى شىء . . فسوف يقتسمون الرغيف والماء والفراش . . ولا يهمك . . وبكره تتعدل . .

ولم تنعدل بكره وإنما بعد بكره . . بل بعد بعد بكره . وتعدلت وهو الآن يعمل فى قسم الحسابات بأحد المستشفيات بعد أن حصل على الجنسية النمساوية . . وزوجته نمساوية وعنده أولاد وهو يساعد أهله فى الوقت نفسه . . ثم إنه ساعد كثيرًا من أقاربه بالهجرة إلى النمسا والحمد لله . وقبّل يده ظهرًا ووجها !

وكانت سعادة « صابر » هائلة عندما سمع قصة الكفاح والنجاح هذه . . وعندما وجد نفسه قد دخل فى حياة المصريين . . وكأنه فى دقائق قد عاد إلى مصر . . إلى الأمان والأحضان والدفء والرحمة والحب . .

وفى منتهى السعادة سأله « صابر » : يعنى أنت رأيك أن كل هذه المشاكل سوف تجد لها حلا بمشيئة الله ؟ . . أنا أعتقد أننى وجدت الحل . . فأنا أخوك وأنت تعرف الكثيرين . . هذا توفيق من عند الله . . وأنا لم أبذل مجهودًا فى البحث عنك . . إذن فالله لن يخيب أملى ولن يردنى خائبًا . . أمى أكدت لى ذلك . . فالحمد لله وما توفيقى إلا بالله . .

. . أنزله من التاكسى إلى إحدى محطات المترو وقال له : هنا سوف تجد عددًا كبيرًا من الشبان المصريين يبيعون الصحف ويعملون فى المقاهى والمطاعم . . ولن تحتاج إلى مجهود لكى تهتدى إليهم . . إنهم هم الذين سوف يعرفونك وسوف ترى منهم العجب . . إننى أتركك هنا . . وسوف أعود إليك بعد ساعة . . وهذا هو عنوانى إن احتجت أى شيء لا تتردد مطلقًا . . وقد حدث لنا جميعا ذلك . . وكلنا جئنا إلى هنا والتقينا هنا وافترقنا هنا . . وأنا على يقين من أنك سوف تعود إلى هذا المكان يوما ما . . مهما طال بقاؤك فى هذا البلد . . سوف تعود إلى هذه المحطة وإلى نفس المكان وربما فى نفس اليوم والساعة . . لا تخف فأنت الآن بين ألوف المصريين . .

وامتلأت عينا « صابر » بالدموع . . هل هى السعادة بأنه قد وجد حلا . . هل بسبب الإرهاق والتوتر الشديد والانفراج المفاجىء ! . . هل هو إحساسه بالحنين إلى مصر . . هل إحساسه بأنه لم يفكر كثيرًا فى ما ذا يحدث لزوجته وهى حامل فى شهرها السابع . . ماذا سيحدث لأمه المريضة . . أما أبوه فهو يعيش مع زوجة أخرى . . هل هو الخوف من شماتة . . إخوته الأشقاء وغير الأشقاء . . هل هو إحساسه منذ هذه اللحظة أنه أصبح وحده ومن يدرى ، فقد تمضى ساعات أو أيام قبل أن يجد مصريًا واحدًا . . أو لن يجد هذا المواطن المصرى الطيب ، الذى أعطاه بطاقة عليها الاسم والعنوان فوضعها فى حافظة نقوده دون أن ينظر إليها ويعرف اسمه . .

وبدأت الأفكار القاتمة تهب على دماغه كالهواء البارد تحت الأرض

من كل اتجاه . . أو كأنها غربان سوداء ودماغه شجرة جافة الغصون ذابلة الأوراق . . وأحس برغبة شديدة فى النوم . . كيف ينام وهو لم يعرف له مكانا يذهب إليه أو أحدًا يدله على أى شىء فى هذه المدينة . . وتذكر أن والدته قد وضعت له سندوتشًا من المربى والزبدة . . وسندوتشًا آخر من البيض والجبنة . . وأحس بالجوع فعلاً ومد يده إلى حقيبته وأخرج لفافة بها السندوتشات . .

وفجأة ظهر شاب أسمر مصري يقول له : أهلاً وسهلاً ومرحبًا . . لقد رأيتك منذ لحظات وتذكرت أيام جئت أنا أيضًا إلى هذا المكان . . بالضبط حيث تجلس أنت . .

ثم قدم له صينية ورقية عليها عدد من الكرواسان ، وقدم له كوبا من الشاى الساخن وقال : أنت تأكل وتشرب من مصنوعات فيينا . . وأنا آكل سندوتشات مصر . . والله وحشتنى مصر . . ولكن ولا يهمك أى شىء . . أنت الآن بين أهلك . .

ثم ركع على قدميه ضاحكًا : شبيك لبيك عبدك بين يديك !

وضحك « صابر » لأول مرة . . وعانق هذا المصرى الطيب وقال : إن كل دعوة من دعوات أمى قد استجاب لها الله . . فالحمد لله رب العالمين !

إنت اسمك إيه ياأخ ؟

ـ محسوبك « عرفان » وأنت ؟

ـ « صابر » . .

ـ أهلا يا « صابر » . .

ـ مرحبا بك يا « عرفان » . .

ـ اسمع يا « صابر » . . أنا عاوزك تفرفش ولا تحمل أى هم . . كل مشكلة لها حل . . وأنت من هذه اللحظة ترمى كل همومك علينا . . سوف نحل لك مشكلة السكن . . ومشكلة العمل . . ولا يهمك . . كلنا جئنا مثلك تماما . . وكنا خائفين . . أنا والله العظيم حدث لى شيء غريب أول ما وصلت هنا . . أصابنى إسهال شديد . . فكنت أبكى وأنا فى دورة المياه ، خوفا من أن أظل طوال الوقت فى دورة المياه ولا أجد أحدًا من المصريين . . والحمد لله كل شيء ربنا جعله لنا سهلا . . فلا تخف ! الآن تستطيع أن تسند رأسك إلى الحائط وتنام . . وأنا سوف لا أرفع عينى عنك . . سوف أتركك ربع ساعة . . وهذه ورقة بها عناوين عشرين من المصريين . . كلهم يسكنون ويعملون فى هذه المنطقة . . لا تخف . . لن يسرقك أحد هنا . . إلا إذا كنت أنا . . هاها . . هاها !

وكأن أمرًا قاطعًا قد صدر إلى « صابر » بأن ينام . . نامت عيناه وتراخت ذراعاه وارتمى على الحائط وراءه ونام . . نام طويلاً . .

وعندما فتح عينيه فى فزع ، وجد عن يمينه وشماله عددًا من المصريين . . بالأحضان والقبلات . . ومرحبًا بك فى وطنك الثانى . . لا خوف ولا قلق . . وقالوا له : احنا جدعان برضه . . وأولاد بلد . . وعندنا نظر . .

وكان النوم قد أراح «صابر» وأنعشه وفتح شهيته على الضحك . .
وقال لهم : سمعتم آخر نكتة . . هاها . . ونكتة وراء نكتة . .

وسحبوا حقيبته من ورائه . . وحملها واحد منهم . . وحقيبة يده حملها واحد ثان . . واتجهوا جميعًا إلى الخطوة الأولى فى الطريق الصعب إلى الحياة فى العاصمة النمساوية . .

الحلقة الثانية

كان عليه أن يتعلم الألمانية وأن يعمل فى نفس الوقت .. أو يعمل أولا .. وبعد شهر أو شهرين يتعلم الألمانية .. إذن لابد أن يكون العمل الذى سوف يؤديه ليس فى حاجة إلى لغة .. فهو يعرض سلعة والناس يدفعون دون أن يسألوا .. ويكفى أن يضع الصحف على الأرض وينحنى كل عابر ويختار الصحيفة التى يريدها ويضع الفلوس فى طبق مجاور .. ولا خوف .. فلا أحد يسرق فى هذه البلاد .. بل فى استطاعته أن يترك الصحف على الأرض وهو آمن تمامًا إذن فوجوده إلى جوارها ليس ضروريًا .. المهم أن يعمل أولا وأن يتقاضى أجرًا أو عمولة .. ولكن « صابر » لا يريد أن يضيع وقتًا والوقت هنا يمر بسرعة ..

لقد مضى شهران ولم يصل إلى أى شىء .. فقط إنه يجد المصريين يأكلون ويمرحون ويضحكون ويتذكرون ، وكل واحد له حكاية ومغامرة . ويطلع النهار ويضحكون وبعضهم يتسلل مع الفجر ..

وبعضهم ينام مع الفجر . . وينامون بالخمسة فى غرفة . . وأحيانًا يتناوبون النوم على الأرض وعلى السرير وأمام الغرفة . . وكلهم فى انتظار المعجزة التى تنقذهم مما هم فيه . . وتجىء المعجزة دائمًا ـ هذا إيمانهم . وهو الإيمان العميق عند « صابر » . . فهو على يقين من أن الله لن يتخلى عنه . . أمه رأت فى الفنجان ذلك وفى أحلامها . . ثم إن الدعاء الذى طلبت إليه أمه أن يقرأه كل يوم ، دعاء معروف لتفريج الهموم وفتح الأبواب المغلقة . .

ولم يكن « صابر » يجد مكانا يخلو فيه إلى نفسه إلا دورة المياه . . ففيها يقرأ الخطابات التى كتبتها زوجته وطلبت إليه أن يقرأ واحدًا كل يوم . . وأن يقرأ الأدعية المباركة التى زودته بها أمه . . وإذا أحس بالرغبة فى البكاء فإنه يمسك دموعه حتى يخرج أحد الزملاء من دورة المياه . . وإذا فكر فى أن يكتب ففى دورة المياه أيضًا . . وهو لا يستطيع ذلك إلا بعد أن يناموا جميعًا أو يخرجوا جميعًا . . وإن كانوا عادة لا يخرجون إلى العمل كلهم فمواعيد عملهم مختلفة . . أناس ينامون نهارًا وأناس ينامون ليلاً . . ثم وجد الحل المريح له وهو أن ينزل ويقف أمام الباب ويقرأ وإذا أراد أن يكتب جلس على أحد المقاعد فى الحديقة الصغيرة . .

ومنذ جاء إلى فيينا لم يقرأ إلا خطابًا واحدًا لزوجته . . الخطاب كله حب وخوف ، وحب وغيرة ، من أن تلتف حوله إحدى شقراوات فيينا . . وينهدم كل الذى بنته الزوجة ، دمعة دمعة وابتسامة ابتسامة مع حبيبها وزوجها . . ولم يحدث أن ذهب إنسان

إلى هذه البلاد مهما كان حبه ومهما كان إيمانه دون أن يقع ضحية . .
والبنات فى أوروبا أشطر وأجرأ . . وعندها حكايات كثيرة ومسلسلات فى التليفزيون والكلام عن الذين ذهبوا ولم يعودوا . . وعن الذين ذهبوا وعادوا بفتيات شقراوات وتخلت عنهم الشقراوات . . وعدن إلى أوروبا وتزوجن . . لتتركهم الشقراوات فى أوروبا أو فى مصر . . ومنهن من جاءت إلى مصر وخطفت أولادها وعادت إلى حيث لا يعرف زوجها . . ومنهن من جاءت إلى مصر وتركت الأولاد إلى زوجها . . وبعثت له بخطاب تقول له : أشكرك على عنايتك بهؤلاء الأولاد . . وأحب أن أقول لك : أن ليس من بينهم واحد أنت أبوه !

واختفت .

ووقف « صابر » عند عبارة جاءت فى نهاية الخطاب رقم (١) لزوجته تهانى . . تقول « تهانى » : أنا عارفة أن الدنيا غير الدنيا . . والناس غير الناس . . وأنا عارفة أن كلامى سوف يدخل من هنا ليخرج من هناك . . أنا عارفة ولكن أنت قلت لى الكثير من قلبك . . وأنت شاب مؤمن بالله . . ومتمسك بدينه . وأنا أيضًا . . فما دمت لا تغضب الله . ولا ترتكب معصية واحدة . . ربنا سوف يحميك ويعصمك . . ولذلك فأنا مؤمنة بالله ، الذى جمعنى معك على سنة الله ورسوله . . فلا خوف على حبنا . وأنا مؤمنة بالله سبحانه وتعالى . وسوف ينصرك الله على نفسك وعلى كل عدو لله . . وعدو لحبنا وحياتنا ومستقبل أولادنا .

وأحس « صابر » كأن زوجته « تهانى » الشابة الصغيرة قد رأت ما يراه فى فيينا . . فكل شىء يغرى بالمعصية . . فى كل مكان . . وكل الذين حوله قد انغمسوا فى كل شىء . . ويحاولون معه . . وهم لا يريدون إفساده . . وإنما هم يتصورون أنه واحد مثلهم . . ولا يمكن أن يقاوم كل شىء طويلاً . . إنهم فقط يريدون أن يفرفشوه . . ولكنه أكد لهم من أول لحظة أنه يخاف الله رب العالمين ! .

ولم يتضايق كثيراً عندما أطلقوا عليه : عمنا الشيخ « صابر » . .

واستراح إلى هذه التسمية . . لأن معناها أنه مختلف عنهم . وأنه مُصرّ على ذلك . . وأنهم لا يحاولون دفعه إلى شىء آخر لا يريده وهو لا يريده لأنه يغضب الله . وهو مؤمن بالله . . وما دام ربنا سوف يوفقه فكيف يعصاه . زوجته قالت له ذلك . وهو لا ينسى . . فليكن ما يعانيه هو جزءا من كفاحه ضد الشيطان وفى سبيل الله . .

ولم يستطع « صابر » أن يقاوم فى تلك الليلة . . فالليلة عيد ميلاد السيدة مرجريت صاحبة البيت . . وهى سيدة طيبة فى الأربعين من عمرها . وقد مات زوجها فى أحد المستشفيات ، وهى تعامل المصريين كأخوتها وتصبر عليهم فى الإيجار . . وقد تعلمت العربية وتستطيع أن تعبر عن نفسها . . وأن تجعل من يتكلم معها يضحك لأنها تلخبط فى ترتيب الألفاظ . . تضع الأفعال قبل الأسماء وأحيانًا بعدها على حسب الظروف . والحديث معها ضحك لا ينتهى . .

وقالوا لصابر : اجلس وتفرج واضحك ولن يرغمك أحد على أى شىء . . والنمساويون هنا يحترمون كل إنسان له رأى . . ويؤمنون

بالحرية . فأنت حر فى الذى تراه وتأكله وتشربه وتعاشره وتؤمن به . .

وقبل أن ينزل معهم إلى أحد المقاهى فى أطراف فيينا ، دخل دورة المياه وقرأ الخطاب الخامس لزوجته ثم قرأ الدعاء الذى أوصت به أمه . . تقول زوجته «تهانى» : حبيبى ونور عينى « صابر » . . قلبى معك ليلاً ونهارًا . . قلبى مخدة تحت رأسك . . قلبى عصفور يرفرف حواليك . . قلبى لحاف تتغطى به . . قلبى حارس لا يغفل ولا ينام . . حبى لك دعوات مستمرة بأن يحفظك الله ذهابا وإيابًا . . وربنا قادر على كل شىء . . قادر أن يحميك ويصونك . . ويحمى إيمانك . . ويحمى قلبك الطاهر الطيب . . لا تخف من شىء فأنت فى عناية الله . . لا تهتز أمام أى شىء . . فالذى يتمسك بحبل الله لا يهزه أى شىء . . أنت جئت إلى هذه البلاد الغريبة ، بإرادة من الله سبحانه وتعالى ، وسوف تعود إلينا سالما تماما بمشيئة الله . . أنا أدعو من كل قلبى . . وأمى وأختى والذى فى أحشائى ، لو عرف لدعا لك . . ألف سلامة لك فى كل خطوة ، فى كل نظرة ، فى كل لقمة ، فى كل قطرة . . فى كل عمل . .

كأن ترسانة من السلاح قد التفت حول جسمه . فهو فى حصن منيع . وكأن ألف « بلوفر » وألف بالطو قد أشاعت الدفء فى كل جسمه . . وحتى لا يسخر زملاؤه منه وبعضهم قد أسرف فى الشراب قبل الذهاب إلى هذه السهرة ، فقد جلس على أحد المقاعد وأمسك القرآن الكريم فى يديه . . وراح يصلى جالسا . . وعرف «صابر» أن الشىء الوحيد الذى لا يجرؤ أحد أن يعلق عليه هو إذا

أمسك القرآن . . فقد حدث أن حاول الصلاة جالسا ، فكانت السخرية من هذا الجمود وهذا الإصرار على أن يكون الإنسان غريبا . . ولذلك لم يعد يصلى جالسا ، وإنما يمسك المصحف ويتظاهر بأنه يقرأ والحقيقة أنه يصلى جالسا . .

وتزاحموا فى سيارة اتجهت إلى مكان بعيد من أطراف فيينا . . حيث عشرات . . مئات من المطاعم أو البارات فالناس يأكلون ويشربون . . ويضحكون . . وجلسوا حول عدة مناضد ضموها بعضها إلى بعض وبدءوا يشربون . . وجاءت السيدة مرجريت ومعها فتاتان وسيدة . . وجلسن جميعًا . السيدة مرجريت اقتربت وصافحته وقالت له باللغة العربية المكسرة : أهلاً وسهلاً . . أنت نورت فيينا . .

ـ شكرًا يامدام . .

ـ لا تقل مدام قل لى : مرجريت . . وهذه جارتى ماتيلده وهاتان ابنتاها ماريا وكريستينا . . وظلت تتكلم العربية التى تجعل أى مصرى يموت من الضحك . .

ثم قالت له : قد جئنا هذه الليلة لكى تضحك علينا . . وسوف تضحك علينا أيضًا . .

هاها . . هاها . .

وجلس « صابر » إلى جانب مرجريت . . وأما السيدة وابنتاها فجلسن بين سبعة من المصريين الذين يعملون فى فيينا والذين يتكلمون الألمانية . .

وقالت له مرجريت : شىء غريب فى المصريين .. إنهم يشربون .. وعلى حرياتهم تمامًا فى كل شىء .. إلا شيئًا واحدًا لا يأكلون لحم الخنزير .. وأنت أيضًا .

ـ نعم .

ـ ولكنك أكثر تمسكا بدينك منهم .. لا تشرب ولا أى حاجة أخرى .. فهل ياترى تستطيع أن تصمد طويلاً ؟.

ـ إن شاء الله ..

ـ إنهم جميعا فى أول الأمر لا يتمسكون بذلك .. فهل أنت مثلهم .

ـ إن شاء الله سوف أتمسك بدينى ..

ـ أنا أحب الذى له مبدأ . ولكن ما الذى يجعلك على يقين من ذلك .

ـ لأننى مؤمن . ولا أزال أصلى وأقرأ القرآن كل يوم ..

ـ فهل تتزوج من النمسا .

ـ أنا متزوج من القاهرة وزوجتى حامل وأنا أحبها وأكتب لها كل يوم خطابًا ..

ـ وهل تجىء زوجتك إلى فيينا ..

ـ لا .. ليس الآن ..

ـ وماذا ستعمل هنا ؟

ـ لا أعرف . . أنا كنت فى مصر أعمل محاميا . . ولكن لا أعرف ما هو العمل الذى يناسب من لا يعرف اللغة الألمانية . . على الأقل حتى يعرفها . .

ـ بعض المصريين تزوج اثنتين . .

ـ لن أفعل .

ـ وإذا اضطررت . .

ـ لن اضطر إلى شىء من مثل ذلك . .

ـ أقول نفرض أنك اضطررت . .

ـ إذا اضطررت فسوف أعود إلى مصر فقد أحببت زوجتى وأخاف الله رب العالمين ووعدتها ألا أخونها . . وإذا وجدت نفسى مضطرًا إلى عصيان الله فسوف أعود إلى مصر . .

وكانت مفاجأة لصابر . . لقد اقتربت السيدة مرجريت واحتضنته وقبلته على خده . . قبلة طويلة دافئة . . وصفق المصريون . . وهللوا . . وقالوا : آه الأولة فى الغرام قبلة . . الأوله فى القبلات على الخد . . والثانية على الخد . . والثالثة على الفم . . والرابعة والخامسة . . والله وجت رجلك ياشيخ « صابر » . . والله وقعت ومفيش حد سمى عليك ياسيدنا الشيخ . .

وتضايق « صابر » . . ولكنهم مخمورون وحاولت السيدة مرجريت أن تخفف عنه . . واستطاعت السيدة مرجريت أن تجعله ينشغل كثيرًا عن الذى قالوه . . ثم طلبت أن تتحدث إليه على

انفراد. ونهضت وعلقت ذراعها فى ذراعه . واحتضنته وقبلته على الخد الآخر . . ولم يستمع « صابر » إلى التعليقات التى رددها المصريون حوله . . فقد بدأ الصفير فى أذنه واحمر وجهه وارتبك . . ولكن مرجريت قالت له : اسمع ياشيخ « صابر » .

ـ أنا لست شيخًا . . إنهم يسخرون منى . .

ـ أنا ظننت أن اسمك شيخ « صابر » . . آسفة . . اسمع يا «صابر » لا تغضب من زملائك . . لقد أسرفوا فى الشراب . . ولا تحاسب بعقلك ، لأن عقلك حاضر وعقولهم غائبة . . والذين يشربون عادة يكرهون أن يجلس بينهم واحد لا يشرب ، لأنه لن يغفر لهم أخطاءهم الصغيرة . . ولكنهم ليسوا أشرارًا ، إنهم يحبونك ويحترمونك . وقد حدثونى عنك كثيرًا . .

وهم يرون فيك الصورة النبيلة الرفيعة للمصرى الشاب المؤمن المخلص لدينه ولزوجته والذى يحترم كلمة الحب . .

وكان ذلك أحسن ما سمع وأصدق نصيحة تلقاها من غير والدته منذ سافر إلى فيينا . .

وجلس يكتب كل ذلك لزوجته . .

الحلقة الثالثة

ووجد « صابر» نفسه مدفوعًا إلى زيارة السيدة « مرجريت » . .

ووجد السيدة « مرجريت » أكثر جمالا مما رآها فى الليل . وجهها أبيض أحمر وعيناها زرقاوان وإذا ضحكت أشرق وجهها . . ولاحظت ارتباكه فاقتربت ومدت يدها تصافحه . وتطلب إليه أن يتفضل بالجلوس وقد أعدت له الشاى والكيك . . وعندما كانت ترد على التليفون كان هو يتجول بعينيه فى الشقة . . نظيفة . . منظمة أنيقة جميلة . . بسيطة . . ورد وزهور فى كل مكان . . على المائدة وفى النافذة وفوق رفوف الكتب . . وعلى الحائط صور لها وهى شابة ، وصور لأولادها أو إخوتها . .

وبادرته قائلة : أنت سوف تتناول غداءك معى . .

ولم تقل : معنا . .

أى إنه سوف يتغدى معها وحدها . ولم يقل زملاؤه إنها سيدة سيئة السمعة . . وإنما قالوا : إنها تخدم المصريين وتساعدهم . . ولم

يلاحظ أن أحدًا قد تجرأ عليها . . أو تهجم عليها . . إنهم أيضًا يحترمونها . . وعرف أن احترامهم لها ، لم يجعل واحدًا منهم يأتى إليها مع صديقته . . وإنما احتفوا بها وحدها هى وصديقتها وابنتى هذه الصديقة . . ولابد أنها لاتحب أن تكون مع صديقات المصرين . . ولابد أن صديقاتهم دون مستواها شكلا وخلقا ـ هكذا كان « صابر » يفكر عندما جلس إليها وراح يفكر فى الذى يراه ، والذى رآه فى تلك الليلة . .

فلم يلاحظ فى تلك الليلة ، أنها ترنحت من الشراب أو أنها تلعثمت فى الكلام . . أو قالت كلاما هلل له المصريون أو تصايحوا . . إذن هى سيدة محترمة لنفسها ، وغيرها يحترمها أيضًا . .

وسألته : هل تعرف يا « صابر » أن بعض هؤلاء الشبان قد تزوج . . طبعا سوف تسألنى ، ولكنهم ينامون معا بعيدا عن زوجاتهم . . بعضهم عنده أولاد بلا عقد زواج . . وبعضهم متزوج قانونا ولكن اتفق الزوجان مؤقتا ، على أن تقيم الزوجة فى بيت أهلها أو بيتها القديم ، ويبقى هو مع زملائه حتى يتمكن الاثنان من استئجار شقة مستقلة . . ولا أعرف ما الذى ستفعله أنت هنا إذا طال بقاؤك وحدك . . هل يضايقك أن أتحدث بهذه الصراحة . .

ـ لا . . إننى أخبرت زوجتى فى خطاب كتبته لها اليوم عنك وإننى سوف ألتقى بك هنا . . وإننى أكن احترامًا لك ، ولذلك لبيت هذه الدعوة .

ـ وأنت تقول لها كل شىء .

ـ نعم . اتفقنا على ذلك . .

ـ أنت شيء نادر فى هذه الدنيا . . ولذلك فأنا أخاف عليك . .

لا خوف بمشيئة الله . .

وراحت « مرجريت » تحدثه عن كل زملائه . . فحدثته عن «درويش » هذا الطويل النحيف . . إنه متزوج فى مصر . وهو يعيش فى فيينا من تسع سنوات . . وقد طلق زوجته فى القاهرة بعد أن انجبت له ثلاثة أطفال . . وتزوج فى فيينا واحدة تعمل جرسونة وليسا على وفاق . . فقد عرف فتاة غيرها . . وهى عرفت شابًا غيره . . عرفت واحدًا مصريًا أول الأمر لكى تغيظه . . ثم تركته إلى شاب هندى . . ولذلك فهو كثير المرح والشراب أيضًا إنه ليس سعيدًا . . وقد توقعت له ذلك . .

وسألته : ومن هو أحب هؤلاء المصريين إليك . . « فريد » ؟

ـ نعم . وكيف عرفت ذلك ؟

ـ لاحظت ذلك . . فقد رأيتك تتنقل حتى جلست إلى جواره ثم لم تغير مكانك ولم تتوقف لحظة عن الحديث إليه . . فهو أقلهم تناولا للشراب . . وهو أيضًا له حكاية . . جاء إلى فيينا متدينا . ثم بدأ يتحلل من الواجبات الدينية . وصارحنى بأنه لا يزال متدينا وأنه يخاف الله وأنه يريد أن يتزوج ، وفى نفس الوقت لا يعرف أحدًا ولكنه قرر أن تكون له غرفة وزوجة . . وبعد ذلك أولاد . . ولا يريد أن يعصى الله . . فهو ريفى شديد الإيمان . . ونصحه المصريون أن يتزوج عرفيا من إحدى النمساويات . . وتزوجا . . وفوجىء بأن

هذه النمساوية قد تزوجت عرفيا من مصرى آخر . وكانت فضيحة . وصدمة عنيفة له . ولم يستطع أن يتجاوز هذه الصدمة إلا أخيرًا جدًا . . ولكنك إذا جلست إليه طويلا تلاحظ أنه يسرح كثيرًا . . ومعنى ذلك أن أعماقه تغلى . . وأنه عميق الفشل وأنه شديد الندم . . وأنه مفضوح . . وأن كل حساباته كانت خاطئة . . وأنه مصدوم فى المرأة النمساوية . . وأنه أخطأ خطأ فادحًا . . ثم لا يعرف كيف يعيش طاهرًا بلا زواج وكيف يتزوج بعد ذلك .

ـ فماذا فعل بعد ذلك . . وكيف استطاع أن يتمسك بدينه ؟

قالت له « مرجريت » وقد اقتربت منه ووضعت يدها على يده . . ومالت على كتفيه لحظات وقالت له : لم يجد إلا حلا واحدًا . .

ـ ماذا ؟

ـ يهمك أن تعرف .

ـ نعم . .

ـ وهل تريد أن تفعل مثله .

ـ لا. لا . فقط أن أعرف . .

ووضعت يدها على يده وهى تقول لقد تزوج أرملة أكبر منى فى السن . . كانت زميلتى فى الدراسة وهى تملك شقة تؤجرها للأجانب . . بنسيون صغير . . وهى أكبر منه بعشرين عامًا وهما سعيدان . . وهى لم تحضر إلى عيد ميلادى لأننى لم أدعها .

ـ ولماذا ؟

ـ لأنها لا تحب أن تبدو كبيرة وسط عدد من الشبان .

ـ أنت عندك كل المعلومات عن كل المصريين .

ـ نعم . . إننى أحبهم . .

ـ وهم يحبونك . .

ـ إلا أنت .

ـ بل أحبك .

ـ مثل زوجتك .

ـ مثل أختى . .

ـ ألم يكن الفراعنة يتزوجون أخواتهم .

ـ فعلا ولكن فى الإسلام وفى كل الديانات حرام . .

ـ أعرف . . إنما أنا أداعبك !

ـ وهل تعرفين بالضبط ما هى حكاية « رأفت » ؟ . . إنه أكثر هؤلاء الزملاء هدوءًا ووقارًا وكأنه يمشى فى طابور طويل من المهمومين ولا يريد لأحد أن يقترب منه أو يسأله عن أى شىء . . وأنا ألاحظ أنهم يحترمون مشاعره هذه .

ـ تمام . . إحساسك مضبوط . . إنه الآن أكثرهم وقارًا . . ولكنه لم يكن كذلك . . ولكن التعاسة علمته الأدب . . والهموم فرضت عليه الوقار . . إنه مربوط بسلاسل فى يديه وقدميه . . ولذلك فهو لا يتحرك . . لا يقوى على الحركة . .

ـ ياه . . مأساة إذن ؟! .

ـ هى كذلك . . ففى أول أسبوع من وصوله إلى فيينا . . عرض الزواج على فتاة كانت هى الأخرى فى محنة . وتريد أن تنتهى هذه

المحنة بأى شكل . . وكان هو الشكل الغريب العجيب الذى تريده . . تزوجـا . واختلفا بسرعة . ضربها فأدخلوه السجن . وخرج من السجن . . وطلقها . . وكانت حاملاً فأنجبت له ولدًا لابد أن ينفق عليه . . وهى تعيش مع شاب آخر بلا زواج . . ثم تزوجت هى . . وتضايق هو فتزوج صديقة لها . . واكتشف أن زوجته هذه هى عشيقة الشاب الذى تزوج زوجته السابقة . . المصيبة الكبرى أنها هى الأخرى كانت حاملاً وأنجبت ولدا لابد أن ينفق عليه . . الشاب يفهم اللعبة أو يتعظ . . أبدًا كان يتصرف بنفس الطريقة ويلقى نفس المصيبة . . واكتشفت أنه فى أعماقه متدين جدًا . . وأنه لا يقوى على الحياة بلا زوجة شرعية . . وأخيرًا من سبعة شهور عرضوا عليه أرملة مصرية تعيش بعيدًا عن فيينا . . قابلها . . جلس إليها . . حكى لها مصيبته . . وحكت عن مصيبتها . . هو كان صادقًا لم يخف عنها شيئًا ، وهى قد أخفت عنه كل شىء . . لم تقل له إن زوجها لم يمت . وإنما هو دخل السجن بسبب النصب والاحتيال . وأفلح المصريون فى أن يطلقوها . . وقبل خروجه من السجن بأيام تزوجت « رأفت » هذا . . ولم تقل لرأفت شيئًا عن ذهابها إلى السجن وزيارة زوجها السابق . . وتقدم بعض الهدايا له . . وخرج الرجل من السجن وعرف عنوانها وذهب إليها . . وعاد الزوج ليجد رجلاً غريبًا فى البيت . . وطبيعى أن يتشاجر الرجلان وأن ينتصر الأقوى فحطم ذراع الضعيف . . فقد حطم ذراع «رأفت» . . ذراعه الأيسر لحسن حظه . . لأنه يعمل فى إحدى الصيدليات . . وطبيعى أن يطلقها « رأفت » . . وكما ترى فهو رجل

تعيس . . لم يرحمه القدر . . وهو كما ترى عبرة لكل من يقف فى اتجاه الرياح العاتية متوهما أنه أقوى من الريح . .

ثم سكتت . . سكتت دقيقة . . أو عشر دقائق . . كان السكون طويلا . . وعندما رفع عينيه إلى عينيها وجدها تنظر فى أعماقه . . إنها . .

واخترقت هى حائط الصمت وقالت له : يهمك جدًا أن تعرف حكاية « شريف » .

ـ « شريف » ؟ ولكنه لم يكن موجودًا ليلة عيد ميلادك . . ولا أراه إلا قليلاً . . وهو أقلهم تهريجًا . . وفى كل مرة سألت عنه قالوا لى : إنه مشغول جدًا . . ويعمل بعيدًا خارج فيينا . .

ـ إنه مشغول فعلا . . ولكنه لا يعمل بعيدًا . . وإنما فقط يريد أن يكون بعيدًا .

ـ لا أفهم . .

ـ سوف تفهم . . إذا .

ـ إذا ماذا ؟

ـ إذا .

ولم تجد عينيه لكى تنظر فيهما . لقد أطبقهما . .

وعادت تقول : « شريف » هو المسكين بين هؤلاء . . إنه مسيحى . . وهو غير قادر على أن يطلق زوجته . . وزوجته هى صديقتى التى رأيتها فى عيد ميلادى . .

ـ أكبر منه . .

ـ وأغنى منه أيضًا . . وعندها بيت صغير. . ومطعم . . وهو كان يدير هذا المطعم ولكن عندما اختلفا ذهب يعمل بعيدًا . ولم يشأ أن يحضر عيد ميلادى لأنه ما يزال على خلاف معها . .

ـ لماذا ؟

ـ حكاية طويلة . . تزوجها عن حب لها . . ووجد صعوبة فى أن يعيشا معا فى بيت به فتاتان ناضجتان . . ولهما أصدقاء كثيرون . . أحيانًا يجد ابنتها وصديقا لها فى البيت وحدهما . . . وتضايق وحاول أن يؤكد لها أنه شرقى وأنه لا يوافق على ذلك . . ولكن الأم أكدت له أنها لا تستطيع أن تلوم ابنتها أو تنتقدها لأى سبب . . فهى حرة . لأنه لو طلقها فسوف يدفع مبلغًا كبيرًا من المال ، ثم إنه مدين لها بعشرات الألوف . .

وسكتت . . وسكت هو أيضًا . . وتهيأ للوقوف . . وقبل أن يتناول الغداء . . بل لا يريد غداء أو عشاء فالذى سمعه يصد النفس عن الطعام ويسدها تماما . .

ثم أيقظته من سرحانه الشديد بأن أمسكت يديه معا . . وهى تقول له : ولكن فى الإسلام من السهل عليك أن تطلق زوجتك فى أى وقت . . وتنتهى كل المشاكل . . صدقنى . . إننى فكرت فى ذلك بعد أن سمعت عنك ورأيتك من بعيد دون أن أجلس إليك . .

الحلقة الرابعة

أغلقت « تهانى » الباب عليها . . وجلست تقرأ بعناية شديدة خطابا جاءها من « صابر » . . وتضع يدها على قلبها وتكاد تموت خوفا مما قد يصدمها فى هذا الخطاب . . ليس الخطاب الأول . وإنما جاءتها خطابات كثيرة . . قرأتها عشرات المرات ووضعت خطوطًا حمراء وسوداء تحت كلمات وعبارات فى هذه الخطابات . . وتناقشت فيها مع أختها ووالدتها . . وأحيانا مع حماتها . .

وهى تارة تقرأ الخطاب من أوله وتارة من آخره . .

وتقارن بين البداية هنا وهناك والنهاية هنا وهناك . .

وكم مرة ذكر اسم « مرجريت » . . وكم ذكر اسم « ماتيلده » و«كريستين » وأحيانًا يصف كل واحدة بصفة . . وأحيانا يضيف صفات جديدة . . وتقارن بين كل الصفات التى أطلقها على كل واحدة . .

ولكن الذى أقلقها كثيرًا جدًا ليست « مرجريت » فهى سيدة أكبر

منه وهى سيدة محترمة . هو يقول ذلك . .

ولكن واحدة جديدة اسمها« ديجا » . . دلع « خديجة » . .

وتقرأ لأختها ما جاء عن « ديجا » هذه . يقول « صابر » :

وجدتهم كلهم يتكلمون عن « ديجا » . . كل واحد عنده مشكلة يذهب إلى « ديجا » . . كل واحد مزنوق فى قرشين يتجه إلى «ديجا» . . كل واحد له مشكلة فى السفارة : عليك بديجا . . وخفت أن أسأل عن « ديجا » هذه حتى لا أقع فى مقلب وحتى لا يؤلفوا حكايات وروايات عن « ديجا » هذه . .

وتنظر إلى أختها وتقول : حكايات وروايات عنه . . ياترى ايه اللى عملته يا « صابر » وألفوا عنه حكايات وروايات . . أنت بدأت تخفى عنى الحكايات والروايات والآن وقعت بلسانك يا « صابر » . . وقع بلسانه شايفه . . وده اللى بأقول عليه عاقل وبتاع ربنا . . يظهر مفيش حد لا عاقل ولا بتاع ربنا . . شايفه يا « فتحية » أحسن بتقولى لى أن « صابر » لا نظير له فى الدنيا . . أدى إنت سامعة اللى بيقوله « صابر » . .

وتقترب أختها من الخطاب . . وتقول لها : هاتى أنا أقرأ هذا الخطاب . . أين هذا الكلام .

ـ قدامك .

ـ أين ؟

ـ هنا . .

وتشير إلى أسفل الصفحة . .

ـ ولكنى لا أجد كلمة واحدة من هذا الذى تقولين . . من أين أتيت بهذا الكلام ؟

ـ من أين ؟ لابد أنه كان سيقول هذا طبعا . . وماذا تظنين أنه سيقول . .

ـ يعنى الكلام ده من عندك أنت . .

ـ لابد أن يكون كده . .

ـ والله انت اتجننت . . أنت تخترعين كلاما وتحاسبين عليه الجدع . . ياشيخة حرام عليك . . الله يلعن أبو الحب اللى حيجننك . . إذن كل الحكايات التى تقولينها عن « صابر » من اختراعك أنت . . أعوذ بالله . . حرام عليك . . على رأى المثل : مالقوش فى الورد عيب قالوا له : ياأحمر الخدين .

ـ هه ياأختى . . اللى أحمر الخدين . . واحدة اسمها « ديجا » . . اسمها « خديجة » وهو بيدلعها يقول لها يا « ديجا » . .

ـ اسمعى أنا مش قادرة أفهم منك حاجة . طول الوقت قاعدة تعيطى وتقولى كلام غير الموجود فى الجواب . . أنت عاوزة تطيرى عقلى أنا كمان . . لما تبطلى عياط السنة دى أبقى ابعتى لى . . تصبحى على خير .

وتذهب « فتحية » لوالدتها وتسألها عن أختها «تهانى » .

وتقول لها « فتحية » ياماما بنتك دى انهبلت . . ياماما ضربت لى

تليفون الحقينى . . نزلت أجرى من البيت وكنت حدوس الناس فى الشارع . . مش شايفه السكة قدامى . . حتى قلت للشغالة تنزل تستنى الأولاد أمام البيت . . إياك سواق أتوبيس المدرسة يقف أمام الباب بالضبط . . والله الشغالة اللى عندى كبيرة ومريضة . . رحت لقيت «تهانى» حتموت من العياط بتقرأ جواب جالها من «صابر» . . وكل ما ييجى لها جواب له تبعت لى وتجننى . . الجدع بيكلمها بمنتهى الصراحة . . وهو كمان عبيط لازم يقول لها كل حاجة . . إن قابل واحدة راح يصف شكلها وفستانها واسم البارفام اللى هيه حطاه . . لازمته إيه هو مش عارف إن مراته مجنونة . . ليل نهار تقرأ الجوابات من آخرها مرة ومن أولها مرة . . وجواباتها عاملة زى كتب المدرسة . . معلمة بالأسود والأحمر تحت الكلمات . . كأن الجدع فى امتحان . . وإذا قال لها مرة حبيبتى زوجتى . . ونسى فى المرة اللى بعدها وقال لها : زوجتى حبيبتى . . يبقى اتغير . . المهم عندها الحب اللى أدى إلى الزواج . . مش الزواج اللى أدى إلى الحب . . هو أحبها أولا وبعد ذلك تزوجها . . اتغير . . وإيه اللى غيره . . وياواقعة سوداء لو أنهى جوابه من غير ما يقولها تصبحى على خير يا أحب الناس . . تصوت وتلطم وتقول إنه قال نفس العبارة لوالدته . . يعنى أنها هى ما بقتش أعز الناس وأحب الناس . . والله ياماما أنا تعبت . . وأنا إذا طلبتنى مرة ثانية أنا لا يمكن حاروح . . مجنونة !

وفتحت الأم شنطتها وأخرجت منها عدة جوابات وهى تقول :

عارفه دول إيه . . جوابات بعتها « صابر » لأختك . . أنا أخذت هذه الجوابات بالقوة . . وحلفت عليها إذا لم تعطنى هذه الخطابات فلن أدخل بيتها . . يابنتى طول الوقت تقرأها وتعيط . . أنا قرأت الجوابات والله يابنتى ما فيها حاجة وحشةأبدًا . . كل كلامه حلو وشاب مستقيم وبتاع ربنا . . وبيحكى لها عن كل اللى حصل له . . وكل اللى حصل للمصريين هناك . . وشوفى أدب الجدع . . كل ما يحكى لها حكاية يقول لها : إننى أمسك الخشب . . الحمد لله ربنا أعطانى واحدة أحسن من كل دول . . يعنى كل واحدة بتفكره بيها . . ولما يفتكرها يقول إنها هدية من عند ربنا . . هل فيه كلام أحلى من كده ؟ . . ومرة حكى لها حكاية واحدة وصفها بأنها جميلة . . وأن هذه الجميلة قد خانت زوجها مع واحد من زملائه المصريين . . ونسى يقول فى نهاية الحكاية إن « تهانى » أجمل منها . . نسى . . فقالت لى : آه . . هيه دى . . اللى خانت جوزها . . مين عارف يمكن خانته مع « صابر » . . وعلشان ما قالش إننى أحسن منها . . هيه اللى خلته يتأخر عن كتابة الجوابات ثلاثة أيام . . ثلاثة أيام وهى تنتظر على نار وصول جواب واحد . . ولكن « صابر » ولا هوه هنا . . حاولت أفهمها أنه يشوف أكل عيشه وبلاش يشغل نفسه بحكاية الجوابات . . الولد يابنتى عايش عيشة الكلاب . . ولكنه لا يتكلم . . إنه ينام مع عشرة فى غرفة واحدة . . تصورى . . إنه لا يعرف كيف يدخل دورة المياه . . وهو الذى يجلس بالساعات فى مصر يقرأ الصحف ويشرب القهوة . . ولا يعرف كيف يصلى . . ولا يعرف كيف يستحم . . أنا كتب لى جوابا بهذا المعنى . ولكنه لو

كتب لمراته الكلام ده لقالت حكايات وروايات مالها أول ولا آخر . . وأنا لو وريتها الجوابات اللى بعتها لى « صابر » حتقلب الدنيا . . إزاى وإزاى . . وعلشان كده أنا أرجوك ما تجبيش لها سيرة . . دى مجنونة . .

ـ وبعدين ياماما . . حنعمل إيه ؟

ـ العمل عمل الله . . ولا حاجة . . أنا مش حاقولك « صابر » بيعمل إيه . ولكن « شوقى » و « شوقى » ابن اختى هو اللى حيقول لك وآهو جاى دلوقت . .

ـ « شوقى » ؟ كان فى فيينا ؟

ـ لا . . ولكن زميله فى الدراسة عنده أجزاخانة فى فيينا . . وهو يعرف « صابر » وعرض عليه العمل ولكن « صابر » رفض لأنه عاوز يشتغل حاجة يفهمها . . حاجة لها علاقة بالقانون أو تاريخ مصر أو آثار مصر . . ويمكن « صابر » يشتغل فى مكتب سياحة . . يمكن ده « شوقى » اللى بيقول . .

ودق جرس الباب وكان د . « شوقى » هو القادم : أهلا ياتانت .

ـ أهلا ياحبيبى . . والله يا « شوقى » لازم تقول « لفتحية » حكايات وروايات « صابر » فى فيينا .

ـ حكايات وروايات . . والله الراجل لا له حكايات ولا روايات . . ده رجل لم يدخل سينما ولا أوبرا حتى هذه اللحظة . . ده بعد يومين من وجوده فى فيينا سألهم : امال حتصلوا الجمعة فين . .

وضحكوا جميعا . فلم يحدث أن واحدًا منهم قد صلى أو سأل إن كان هناك جامع على الإطلاق . . وهو لا يشرب ولا يدخن . . ولا يذهب إلى الحانات ولا إلى الكباريهات . . وهم مندهشون لذلك . . وهو مصر تماما أن يظل نظيفًا طاهرًا ، وإن الدين قادر على أن يصونه ويحميه . . وهو دائم الكلام عن مراته « تهانى » وعن ابنه « محمد » عنده كم سنة ابنه ؟

ـ ابنه . . ياحبيبى مراته ما تزال حاملا فى السابع . . لم تلد ولكنه يحلم بأن يكون له ولد . . والله جدع طيب جدًا ومفيش منه أبدا فى الزمان ده . . ولكن مالوش بخت اللى اتجوز بنت مجنونة زى تهانى . . وأنت تعرف الستات اللى يعرفها . .

ـ ستات ؟ ويعرفها . . ولا ستات ولا حاجة . . هناك يطلقون عليه اسم عمنا الشيخ « صابر » . .

ـ مراته حتتجنن وتعتقد أنه يعرف ألف واحدة وكل يوم يتجوز واحدة ويطلقها . . شهريار يعنى ؟!

وسألته « فتحية » : إن كان من المعقول أن يظل شاب بهذا الشكل فى فيينا ؟

وقال لها « شوقى » : والله « صابر » ما زال بهذا الشكل حتى الآن . . بقى له أد إيه دلوقت .

ـ قرب على شهر ونصف . .

ـ شهر ونصف ؟! بس ؟

ـ حرام عليكم . . أنتم مستعجلون على فساد الجدع لسه . . لسه . . لسه . . ياطانط أجدع جدع وأرجل رجل ياخد شهرًا واحدًا فى فيينا . . وبعد كده يارحمان يارحيم . . كلها كام يوم و « صابر » حيبقى الخواجه « صابر » . . أو « صابرمان » . . دى بلد ياطانط تدوب الحديد . .

ـ أنت لما رحت فيينا ؟

ـ لما رحت ؟ قبل ما أروح .

ـ ما سمعتكش مراتك أنت كمان . .

ـ يا أختى سمعت وشبعت « سمع » وقلت لها . . أنا كده واللى عاوزنى زى ما أنا . . والا الباب يساع جمل . .

ـ أنا عارفه مراتك عاقلة . . راح تجرى هنا وتنط هناك والآخر يرجع لمراته وولاده . . مراته عاقلة جدًا وعارفه أنه فى يوم من الأيام ربنا حيهده . .

ـ والله واتهديت والوقت ماشى جنب الحيط . . وهى سعيدة قوى . .

ـ لكن تهانى لسه صغيرة وعلشان كده مجنونة . .

ـ فيه حاجة جديدة ياطانط . .

ـ أبدًا يا ابنى هوه نفس الموال اللى نعيده نزيده . . واللى نزيده نعيده . .

وودنك فين ياجحا . . حكاية مالهاش أول ولا آخر . . ولا قادرة

أشوف بنتى بتعيط ليل نهار ، ولا قادرة أسيبها ولا قادرة أرجع لها جواباتها . . ولا قادرة أقول لها عن الجوابات اللى « صابر » بيبعتها لى. ولا الجوابات اللى بيبعتها لأمه . . هيه مش عاوزاه لا يكلم حد ولا يشوف حد ولا يكتب لحد غيرها . . يبقى إزاى يا ابنى . . حد يعقلها أنا تعبت ياشوقى . . تعبت والله ومشيلانى الهم . . والجدع من أحسن الشبان اللى فى الدنيا . .

ـ أكلمها ياطانط .

ـ لا يا ابنى مش حتقدر عليها . . حتفتكر أننى اللى بعتك لها . . وإننى فضحت بنتى وضحكت عليها العالم كله . . لا يا ابنى فى عرضك . . ولا كلمة . أرجوك يا ابنى أنا مش ناقصة وجع قلب والا إيه يا « فتحية » . ؟ .

ـ والله ياماما . . كلامك مضبوط . . « تهانى » لا تعرف الهزار. . أنا من كام يوم باهزر معاها وبأقولها أنا لو كنت « صابر » لطلقتك واتجوزت واحدة غيرك . . ياخبر على اللى حصل ياماما . . أبوس إيديها ورجلها . . وأقول لها : ياأختى بأضحك . . باهزر . . أنت عارفة أنا باحبك قد ايه وباحبه هو كمان . . والله هزار ضحك . . حقك علىّ . . أنا غلطانه اضربينى بالجزمة . . غلطانة . كانت ليلة سوداء لما كان جوزى أنا حيطلقنى . . ساياه فى البيت عيان وقاعدة أصالح فى المجنونة أختى . . تصورى ياماما قالت لى وبلعتها ولم افتح فمى قالت : أنا عارفه إنك حطيت عينك عليه . . خديه أبلعيه وبالهنا والشفا . . اشمعنى أنت اللى مش عاوزه تخربى

بيتى . . تصورى ياماما !

ـ الحمد لله اللى أنا كبرت وما بقتش تقول لى : أنا كمان حاطه عينى عليه . . هاها . . هاها . .

ـ تعرفى ياماما . . ممكن تقول لك كده . .

ـ أنت يابنت تجننت أنت كمان وإلا إيه . .

ـ لا والله ياماما أنا بأكلمك جد . . لأنه فيه واحدة صاحبة بنسيون عندها خمسة وخمسين سنة تزوجت واحدًا من المصريين . . و«تهانى» متأكدة أن الدور على « صابر » . . هاها . . هاها . .

ـ ده باين إحنا كلنا اتجننا .

ـ . . . .

الحلقة الخامسة

بعد تناول العشاء فى أحد أيام الآحاد فى مدينة فيينا الجميلة جلس أربعة من الزملاء المصريين يتوسطهم « صابر » . .

و « صابر » هو الذى استدرجهم إلى الكلام عن أحوالهم . ليست لهم شكوى على ما يبدو. كل واحد الآن قد استقر فى عمله واستقرت حياته . ومن حين إلى حين يتحدثون بنعمة الله بأنهم قادرون على أن يكونوا نافعين مشرفين لبلدهم . . وكل واحد قادر على أن يتصل تليفونيًا من حين إلى حين بأهله . . وبأن يبعث بهدايا وأموال إلى أقاربه وإلى أولاده . .

وكان « صابر » هو أول المتكلمين قال : ياإخواننا لابد أن نعيد النظر إلى الوراء قليلاً . . نحن بفضل الله قد نجحنا . . وأنا شخصيا بفضل من الله سبحانه وتعالى وعون منكم . . الحمد لله . . ربنا سترها معانا . . وربنا يكمل لنا بالخير والمحبة بقية حياتنا . .

« فوزى » : جالك كلامى يا « صابر » . . أنا قلت لك من أول

لحظة كل شىء له ثمن . . كل شىء . . لو قلت لواحد صباح الخير ورد عليك وقال لك ياصباح النور . . لابد من ثمن . . لا شىء هنا لوجه الله . .

« صابر » : ليس إلى هذه الدرجة . . فأنتم جميعا قد ساعدتمونى لوجه الله تعالى . .

« فوزى » : أنت حالة خاصة . . ونحن معا واجب علينا أن نتعاون . . فنحن فى غربة . . وأهل وعيش وملح . . كلامى كله على الخواجات . . أنت مثلا هل كان من الممكن أن تعمل فى شركة أدوية أو حتى تدخلها برجلك ، لولا أنك تزوجت « مرجريت » . . أبدًا لولاها . . ولولا أن «مرجريت » أحبتك حبًا شديدًا ولولا أنها أيقنت أنك مختلف عن جميع زملائك . . وهى التى أصرت أن تبقى على جميع مبادئك . . لا تشرب ولا تدخن وتصلى . . وأكثر من ذلك أن تشهر إسلامها . . ليس فى الدنيا كلها أعظم من ذلك . . وكل شىء بثمن . . الثمن أنها تزوجت شابا زى الورد . . باسم الله ما شاء الله جدع ، وابن بلد ، وذكى ، ومستقيم ، ومن النادرين الذين يعرفون ربنا . .

« بدوى » : المهم أن يعرف الثمن . . ولكن المصيبة أننا عندما جئنا إلى هذه البلاد كنا نتصور أن الثمن هو الجنس أو هو الحب . . وكانت غلطتنا . . فالناس هنا ليسوا مجموعة من الحيوانات . . ولكنها مفهومات خاطئة . . هذه المفهومات دفعنا ثمنها غاليا . . أنا شخصيا انتقلت من بيع الصحف إلى بيع السندوتشات إلى

الصحف . . إلى بيع السجق . . إلى العمل عند بلدياتى . . إسحاق . . بلدياتى من أسيوط وهنا يسمونه « ايزاك » . . وكان «ايزاك » أسوأ من أى واحد نمساوى . .

« عرفان » : « ايزاك » لم يكن سيئًا . . وإنما هو مصرى شرقى صميم . . اسمع يا « بدوى » أنت عاكست مراته . . حصل ولا لأ؟

« بدوى » : أنا ؟ هى التى عاكستنى . هى التى كانت ترتدى الملابس العريانة وأنا موجود فى البيت . . وتتمايل وتتدلل فى عناية . . يبقى المعنى إيه ؟

« عرفان » : لا ليس صحيحًا . . أنت كنت تذهب إلى بيت «ايزاك » عندما تعلم أنه مسافر . . وكانت زوجته حريصة على احترام عادات وتقاليد المصريين فكانت لا تتركك تقف أمام البيت وأنت قد جئت بلا موعد ، فكانت تجعلك تدخل بسرعة ولا توقفك على الباب . . وأية سيدة فى يوم إجازتها وفى بيتها وعلى حريتها لابد أن تكون فى ملابسها الخفيفة . .

ـ يعنى أنا قليل الأدب ؟

ـ حاجة زى كده !

« صابر » : لا داعى للخناقة ياإخواننا هذه حكاية قديمة . . اللى فات مات . . ويجب أن يموت نهائيًا . . هل فى استطاعتنا أن نغير الماضى . انتهى . المشكلة هى المستقبل .

« بدوى » : « صابر » ألم ننصحه بأن يتروى فى زواج

«مرجريت»؟ . . لأن زوجته فى مصر ستقع ميتة . . وقليل إن ما كانت ترمى ابنه « محمد » من الشباك ليسبقها إلى القبر . . ولكن جاء زواجه أحسن شىء فى الدنيا . . هى لا تبدو كبيرة . . بل ازدادت حلاوة وشبابا ، وهو إزداد وزنا وبعد أن أطلق شاربه يبدو كأنه أصغر منها بسنوات قليلة . . فهل كان فى استطاعة « صابر » ما دام حريصًا على دينه ، أن يفعل ما هو أحسن من ذلك . . أبدًا . . لو دار حول الأرض واستعرض جميع نسائها فلن يجد زوجة وأختا وأما أجمل ولا أصدق من « مرجريت » . . بلاش « صابر » أنت بالذات يا « عرفان » أنت تزوجت مصرية ونحن جميعًا نعرف ماذا حدث . . ثم تزوجت واحدة مجرية وحكايتها وصلت للبوليس وللسفارة المصرية . .

واستطاعت هى أن تبعث بخطابات إلى كل أهلك . . وزى ما أنت شايف فإن « عرفان » لا يفتح فمه بكلمة إذا ذكرنا هذا الذى حدث . . ويعتبر أنه دفع ثمن اندفاعه وطيشه غاليا جدًا . . ولا يزال يكح . . أقول ولا كفاية كده . .

« صابر » : الحل إيه ؟

« عرفان » و « بدوى » و « أيمن » : حل إيه :

« صابر » : أعمل إيه مع زوجتى وابنها وأمى وأختى وحماتى . . أقول لهم . . أنا تعبت من الكذب . . والكذب الذى أردده فى كل خطاب هو أننى لم أتغير . . وفعلا أنا لم أعص الله سبحانه وتعالى ولا مرة . . فأنا زوج على سنة الله ورسوله . . وزوجتى بين مصدقة وغير

مصدقة . . ولكن اعتقادها قوى فى إيمانى بالله . . وما دمت مؤمنا بالله فإن هذا الإيمان يعصمنى من الخطأ بأن أعرف امرأة أخرى غيرها . . وهى لا تتصور لحظة واحدة أننى تزوجت . .

« عرفان » : مع أن الزواج حلال . . ومن اثنتين وثلاثة . . ولكن القانون هنا يمنع تعدد الزوجات . .

« صابر » : إذا قررت العودة إلى مصر لأى سبب فسوف أطلق «مرجريت » . . مع الأسف . . ولكن المستحيل هو أن أحتفظ بها حتى إذا لم تجىء إلى القاهرة . . فهذا زواج وضعته الظروف الصعبة جدًا التى يمر بها أى إنسان غريب فى بلاد غريبة .

« فوزى » : إياك أن ترتكب الحماقة التى ارتكبتها أنا من قبل . . فأنا غلطت غلطة عمرى . . طلقت واحدة نمساوية واستحضرت زوجتى من القاهرة . . وبسرعة ياأخى لا أعرف كيف استطاعت زوجتى أن تعرف كل تاريخى الأسود فى هذه البلاد . . كم زوجة . . وكم صديقة وكم فضيحة وكم استجواب فى البوليس وكم تهديدًا بالطرد . . وكنت قد أخفيت كل هذه الحقائق . .

« صابر » : حتى لو كانت زوجتى مثل « مُرجريت » . .

« عرفان » : لا يا حبيبى . . كان غيرك أشطر . . الصنف كله زى بعضه . . أستاذة الجامعة مثل الخادمة . . زى بعض . . كلهن ستات . . وكلهن عندهن غريزة كشف الكذب . . ولا يمكن أن نخفى عن المرأة أى شىء . . إنها تشم النساء الأخريات . كيف ؟ أنا لا أعرف أبدًا . . ياأخى يظهر على وجوهنا . . فى عيوننا . . فى

رائحة ملابسنا . . فى رائحة أجسادنا . . أنا حاتجنن لا أعرف كيف؟ . . أنا كنت قبل أن أعود إلى البيت أذهب إلى بيوت أصدقائى . . وآخد الدش . . وأضع العطور . . وأغسل أصابعى وأسنانى . . وفى لحظة واحدة تجدها ياأخى عرفت بسرعة أننى غيرت الكولونيا فأين كنت ؟ ثم إن الكولونيا التى وضعتها جديدة لأن رائحتها ما تزال قوية . . وليست لى رائحة عرق فهل لم أذهب إلى عملى ؟ . . ورائحة فمى معجون أسنان فأين كنت ؟ . . تصوروا دول أولاد عفاريت . . فالزوجة ضابط شرطة ومباحث ومخابرات لا يتعب ولا يزهق ولا يمل . وتنكد عليك عيشتك فى أحلى ساعات الليل عندما تدخل إلى فراشك أو عندما تنهض منه . . وقد تعرف الزوجة كل شىء من أول لحظة ولكنها تنتظر . . حتى تتجمع لديها معلومات أكثر وأكثر ، اسكت لا تأمن لزوجتك حتى لو كانت لا تغادر سجادة الصلاة . . أبدًا !

« فوزى » : أنا كنت قد وعدت زوجتى أن نلتقى هنا . . فهل يضايقكم أن تجلس معنا بعض الوقت . . ومن الممكن أن تشترك فى الحديث وهى قادرة أن تفيدنا فهى على دراية بمشاكل الحياة الزوجية لأنها تعمل باحثة اجتماعية ودرست علم النفس وعلم الاجتماع . . وهى الأخرى تفتشنى يوميا . . لا تفتش جيوبى ولكن تفتش فى أعماقى . . ويا أخى لا أعرف كيف تكشفنى ولذلك لم أعد قادرًا على أن أخفى عنها حاجة . . أحيانا أحاول وأقول لها كلاما منطقيًا قد فكرت فيه كثيرًا فتستمع وتسمع فى صمت تام ، وبعد ذلك تقول لى

قل كلامًا آخر فأنت كذاب ياحبيبى !

« صابر » : وتكون كاذبًا . .

« فوزى » : طبعًا أنا كذاب على طول !

« صابر » : وليه ؟ . .

« فوزى » : بيقول لك ليه . . وهوه فيه حد فى أوروبا كلها صادق إلا أنت . . كلنا كذابون !

« بدوى » : وأنا ؟

« فوزى » : أنت أستاذى ياحبيبى أنا تعلمت الغش على يديك . . أنا أول ما وصلت هنا قلت لى : اشتغل على الجو ده . . وكان الجو بنتا حلوة . . وحياتك اشتغلت عليها . . وكانت أول واحدة تزوجتها . . وقد ذقت المر أشكالاً وألوانًا على يديها . . إنها شورتك . . والثانية قلت لى : اكذب عليها . . اكذب . . حتى تصدق أنت أكاذيبك . . وكذبت ودخلت السجن وأنت السبب ياروح قلبى !

وجاءت زوجة فوزى . . إنها فتاة نمساوية شقراء جميلة رشيقة . . وتتكلم العربية وقادرة على أن تكون مفهومة . . ووقفوا لتحيتها . . وهى بسرعة قالت : لازم عندكم مشكلة . . هل هى مشكلة «صابر» طبعًا ليست له مشكلة مع « مرجريت » . . لابد أن تكون عنده مشكلة فى مصر . .

الجميع فى ذهول قالوا : بالضبط كده .

« فوزى » يابنت العفريتة . . جالكم كلامى . . إنها معى هكذا . . ليلاً ونهارًا . . أروح منك فين ؟ . .

ـ وتروح ليه . . أنت قاعد وأنا قاعدة لك . . عاوز تمشى خد أولادك الثلاثة معاك وإن كانوا خسارة فيك . .

« فوزى » شاطرة ياأختى . . اقعدى قولى « صابر » يعمل إيه . . « ياليليان » ركزى معانا « ياليليان » .

« ليليان » : فى إيه ؟

« صابر » : أريد أن أعود إلى مصر فماذا أعمل فى « مرجريت» . .

« ليليان » : خذها معك إلى مصر .

« صابر » : وزوجتى .

« ليليان » : وهى أيضًا زوجتك . . هذا إذا وافقت هى أن تسافر معك إلى مصر وتترك فيينا . . لا أظن أنها ستترك فيينا لأى سبب . . حتى لو ظلت زوجة لك . .

« صابر » ولكن أنا لا أريد أن أتركها هنا . . ولا أستطيع أن آخذها إلى مصر . .

« ليليان » : لا يبقى إلا أن تأتى بزوجتك الأولى وتجمع بين زوجتين وتواجه المجتمع والقانون . .

« صابر » : والحل . . إن «مرجريت » ساعدتنى كثيرًا ولا تزال ولا أنسى فضلها وأدبها وحبها وحنانها وشهامتها أيضًا . . لولاها يا «ليليان » لما استطعت أن أبقى هنا شهرًا واحدًا . . وهل جزاء

«مرجريت» أن أطلقها أو أهجرها أو حتى أسىء إليها . .

« ليليان » : إذن تريد « مرجريت » أن تتركك وأن تطلقك . . ما دمت غير قادر على ذلك . .

« عرفان » : تمامًا كما حدث لى . . عندما تزوجت « يولييت » أحببتها جدًا . . واشترطت هى أن تكون العصمة فى يدها . . ومعنى ذلك أننى أستطيع أن أطلقها وهى تستطيع أن تطلقنى أيضًا . . وهى التى طلقتنى وهاجرت إلى أمريكا . . والله لا يزال قلبى ممزقًا عليها . .

« فوزى » : قلبك إيه عليها . . إنت عندك قلب . . بلاش حكاية القلب دى . . خلينا فى اللى احنا فيه دلوقت . . اسمعى يا «ليليان » عاوزين نعرف منك إيه اللى يمكن أن يعمله « صابر » . . أنت تعرفين « صابر » . . وأنت معجبة به . وأنت ترين أن « صابر » هو أفضلنا جميعًا . ما الحل ؟

« ليليان » : « صابر » ليس عنده حل . . ولكن زوجته فى القاهرة هى التى عندها الحل وكذلك « مرجريت» . . ولو عرفت «مرجريت» ما الذى نقوله هنا لقررت هى أن تترك « صابر » فورًا . . ونحن كلنا نعرف أن « مرجريت » عندها شخصية قوية وعندها كرامة . . وهى عندما تزوجت « صابر » تزوجته عن حب وعن إعجاب . . واحترام للشاب الذى قرر أن يقف بمبادئه فى وجه كل شىء فى فيينا . . وفى أوروبا . . إنها أحبت شابًا قويًا . . قوى الشخصية قوى الإيمان . . وعاشقًا غيورًا . . وكل هذه الصفات تجعل من الصعب عليها أن

تتركه وتفضل أن يتركها هو . . وهذا يجعل الموقف أكثر صعوبة . .
آه . . نسيت شيئًا هامًا جدًا . . من يدرى ربما كان الحل هنا . .

وفتحت حقيبة يدها . . وأخرجت خطابًا وقدمته إلى « صابر » :
يبدو أن فى الخطاب شيئًا هامًا . . فمرجريت طلبت منى أن أمر عليها وقد لاحظت أن وجهها حزين جدًا . . ثم طلبت منى أن أسلمك هذا الخطاب فى يدك وأصرت على أن يكون ذلك فورًا . . فأنا شديدة الأسف وأرجو ألا يكون شىء فظيع قد وقع فى القاهرة غير الزلزال . . وإن كانت ملامحها تؤكد ذلك . .

ونهض « صابر » والعيون تتجه إليه . . وهو يفتح الخطاب . . وهو يقلب الخطاب فى يديه . . وهو يقول : لا أعرف هذا الخط ياترى من الذى بعث به . .

ويفتح الخطاب ووجهه تتغير ألوانه . . ثم يسقط الخطاب من يده . . وهو ينهار على مقعده . . ويتزاحمون حوله . . وتمتد الأيدى إلى الخطاب . . ويتناولونه . .

لقد انهار البيت على زوجته . . فماتت ومعها أمها وأختها . . وعاش ابنه . .

جميعًا يقولون : لاحول ولا قوة إلا بالله !

الحلقة السادسة

عرف « صابر » الحزن والسرحان والبكاء والضعف وأحس أن الدنيا قد انتهت . وعليه أن يجمع ملابسه وأوارقه ويقفل الباب فى وجه أى أمل . . وأنه مصدر تعاسة لكل الذين حوله . .

فقد ولدته أمه وهو ابن سبعة شهور . . وكادت أن تموت . . وكان هو السبب . . وبعد سنة واحدة من ولادته انفصل أبوه عن أمه لأسباب عائلية . . لخلافات بين العائلتين . . ويوم دخل الجامعة مات أعز أصدقائه . . ويوم تخرج فى الجامعة كان عليه أن يمشى فى جنازة الفتاة التى أحبها ووعدها بالزواج . . فقد ماتت فى حادث سيارة وهى قادمة من الإسكندرية مع أختها . .

وحبه الكبير لزوجته لم يمض عليه سوى سنتين وكان لابد أن يذهب إلى فيينا بحثًا عن عمل أفضل ومستقبل أحسن له ولزوجته ولابنهما . . ولم يكد الطفل يكمل السنة الأولى ويكسر أيامًا من الثانية حتى ماتت زوجته « تهانى » بسبب زلزال القاهرة . . وكان الممكن أن

تحدث معجزة لتنجو الأم وطفلها . . فحدثت نصف معجزة ونجا الطفل فقد تمسكت به والدة صابر حتى تعود الأم من عيادة الطبيب . . وبعد أن ذهبت إلى الطبيب انهار البيت على « تهانى » والطبيب والمرضى . .

ولم يستطع أن يسافر فى نفس اليوم أو حتى فى نفس الأسبوع ليمشى فى جنازة زوجته . فقد تحتم عليه أن يحضر تسجيل بعض الأوراق فى المحكمة ، وكان لابد أن يحضر بنفسه ومعه زوجته «مرجريت». . ولولا « مرجريت » هذه لانهار هو الآخر وسقط تحت زلزال الانفعال الشنيع الذى حطم قلبه وعقله حزنًا على الذى أصاب زوجته . .

وفى مطار فيينا اقتربت منه « مرجريت » وقالت له : « صابر ». . حتى إذا لم تعد فسوف أظل أحبك . . حتى إذا لم تمكنك الظروف من دعوتى لزيارة القاهرة والوقـوف فيها إلى جانبـك بعض الوقت فإن شعورى العميق لك لن يتغير . . فأنا لم أتزوج نزوة . . ولا توريطة . . وإنما بعقلى وقلبى . . وسوف أبقى على حبك . . أتمنى لك التوفيق وأن تجد من يهون عليك . . وسوف تجدنى فى انتظارك دائمًا . .

ـ أنت عظيمة يا « مرجريت » . . عقلك كبير وقلبك أكبر . . أنت نعمة من عند الله . . وسوف تبقين دائمًا يا « مرجريت » . . سوف أتصل بك غدًا انتظرينى .

ـ سوف أنتظر دائمًا !

وفى مطار القاهرة رأى من بعيد والدته فى ملابسها السوداء وأخته.. وخالته وبنت خالته .. وكانت أمه هى الأشجع .. تقدمت له وعانقها وقبلها وبكى الاثنان بلا كلام .. وخرجوا جميعا فى صمت ..

فقالت له أمه الحاجة « عديلة » : ابنك فى الحفظ والصون ياحبيبى ..

ـ لم يحدث له شىء .. قولى لى ياماما أرجوك .. إننى بفضل الله قادر على أن أتحمل أى صدمة ..

ـ والله يا ابنى فى صحة وعافية .. ولكنه صغير يا ابنى وقد تركته فى البيت .

ـ مع من ياماما ؟

ـ مع « ماجدة » .

ـ « ماجدة » مين ؟ .

ـ « ماجدة » بنت خالتك .. قاعدة عندنا اليومين دول .. اتطلقت من زوجها .. أخذ فلوسها وهرب إلى السعودية .. وبعث لها ورقة الطلاق ..

ـ ندل !

ـ بعدين يا ابنى .. أنت فى إيه ولا فى إيه .. ربنا يسترها يا ابنى من غيرها كان الولد مات .. إنها مثل أمه .. أكثر من أمه .. إنها أخذت إجازة من شغلها فى وزارة الخارجية وقاعدة بالطفل ليلاً

ونهارًا . . ربنا يقطع من هنا ويوصل من هنا . . حاجة غريبة يا ابنى الولد شبه « ماجدة » . . كأنه ابنها . . كل الناس يقولون كده . . وهى أيضًا . . سبحان الله . . العينان الخضراوان والأنف الصغير وشعره الأصفر . . سبحان الله . . مش وقته . . حنعمل إيه يا ابنى . .

ـ فى إيه ياماما .

ـ والله يا ابنى ما أنا عارفه أسألك عن أى حاجة . . قاعد هنا ولا راجع . . والله يا ابنى مصيبة كبيرة . . عين وصابت يا ابنى . . عين وصابت . . ربنا يكملها بالستر يا ابنى .

ـ آمنت بالله ياماما . . كله من عند الله . . آمنت بالله .

* * *

فى بيت والدته جاء « فوزى » و « بدوى » و « ليليان » . .

والدته سألتهم : متى جاءوا . .

لقد تصادف وجودهم فى القاهرة يبحثون عن شقق يشترونها . . فقد قرروا العودة . . فكل واحد عنده بيت . . ولا يستطيع أن يعيش مع بنات فى فيينا . . المجتمع لا يمكن احتماله لأى رجل شرقى . . فلابد من العودة إلى مصر . .

وقد انتحى فوزى بصابر وسأله : حتعمل إيه .

ـ مش عارف .

ـ الطفل سوف تتركه لوالدتك أو تأتى به وتضعه فى إحدى رياض

الأطفال فى فيينا . .

ـ مستحيل طبعًا . .

ـ إذن أنت لم تقرر بعد . . لا تنس أن تتناقش معى فى كل شىء خاص بابنك . . ولكن يجب ألا تترك عملك فى فيينا . .

ـ والله ما أنا عارف . .

واقتربت منه « ليليان » : تجىء بالطفل إلى فيينا لتتولى «مرجريت» رعايته والاهتمام به . . إنها لم ترزق أولادًا وسوف يكون عزيزًا عليها . . ولن تجد من هو أفضل منها . . صدقنى إننى فكرت كثيرًا . . وهذا آخر ما اهتديت إليه . .

و « بدوى » سحبه إلى جانب وقال له : المنظر الذى أمامى يؤكد أن والدتك قد فكرت بسرعة وقررت وأنها متأكدة أن هذا قرارك أيضًا . .

ـ يعنى إيه ؟

ـ يعنى أن أمك سوف تعرض عليك الزواج من بنت خالتك .

ـ إيه اللى أنت بتقوله ده .

ـ وجهة نظر . . ولا تنس أن بنت خالتك هذه هى التى انتحرت يوم تزوجت « تهانى » . . لأنها كانت تحبك وأنت الذى طمعتها بالزواج منك . أنت الذى شجعتها يا أستاذ . . ثم ظهرت « تهانى » فتعلقت بها وأحببتها وتزوجتها . . أنت نسيت يا أستاذ !

ـ فى عرضك . . اتركنى فى حالى والهم اللى أنا غرقان فيه . .

ـ هذا هو حالك . . وهذه هى أسرع طريقة لإنقاذك من الغرق . . إن ابنك الصغير هو الذى سيفرض عليك شروطه . . لكى يعيش أفضل ويعيش على مبادئ إسلامية شرقية . . هذه المبادئ لا تعرفها « مرجريت » مهما كان حبها لك . . ما علينا . . أنا فقط قرأت وجه الحاجة « عديلة » حبيبة قلبى . . وأمى رقم ٢ . .

ـ أنت جايب الكلام ده منين .

ـ من هنا (ويشير إلى قلبه وإلى عقله) .

ـ وتقترب والدته منهما وتتساءل : عن أى شىء تتكلمان . .

ـ لا شىء ياحاجة . .

ـ حتقول إيه يا ابنى . . إنها إرادة ربنا . . آمنت بالله . . كل ده كان مستخبى لك فين يا « صابر » . . عين وصابت يا ابنى . .

ـ إرادة ربنا ياماما . . إرادة ربنا . . ربنا أحكم وأعلم وألطف الحمد لله على كل شىء . . وبشر الصابرين . . الحمد لله . .

ـ ربنا يا ابنى يديم عليك نعمة الإيمان . . ربنا يمتحن عبده من حين إلى حين . .

ـ امتحانات صعبة ياحاجة . .

ـ يا ابنى حرام أنت مؤمن يا « صابر » . .

ـ نعم مؤمن ولكن الامتحان موجع ياماما . . أنا لا أعترض وإنما أقول آه فقط . . آه بالقوى ياماما . . آه على المسكينة التى اختارها ربنا . . وعلى المسكين الذى لا هو عارف هو ابن مين . .

ـ ابنك يا ابنى وربنا يخليه يتربى فى عزك وحضنك يا ابنى . . آمنت بالله . .

ويقترب « فوزى » من الحاجة « عديلة » ويقول لها :

والله ياحاجة أنا كنت أتكلم مع « صابر » عن اللى حيعمله . . قاعد هنا . . ولا راجع . . راجع وحده . . ولا مع الطفل . . وأين سيضع الطفل ؟ . . وإذا تركه فمن الذى سيقوم بدور الأم ؟ . .

ـ أنا يا ابنى . .

ـ تسلمى ياحاجة . .

« صابر » : والله ياحاجة أنا مش قادر أفكر دلوقت . .

ـ يا ابنى مش دلوقت . . بكره بعده يا ابنى . .

ـ إن شاء الله . .

* * *

كانت الأم جالسة على السرير تشكو من ألم فى ساقها . . وجلس هو إلى جوارها على السرير . . يشربان القهوة قالت له : « صابر » يا ابنى ياحبيبى .

ـ نعم ياحاجة . .

ـ نعم الله عليك يا ابنى . . ريح قلبى قبل ما أموت يا ابنى . .

ـ تعيشى ياماما . . أنا عمرى تعبتك ياماما . .

ـ أبدًا يا ابنى أنت طول عمرك عاقل . . وطول عمرك حنين . .

ومش عارفه ليه حظك كده يا ابنى . . اللهم لا اعتراض على حكمتك . .

ـ نعم ياماما . .

ـ انت عارف ياسى « صابر » . . مفيش غير « ماجدة » بنت خالتك . . أحسن منها فى الدنيا كلها مفيش يا ابنى . . وهى راضية على الحلوة والمرة . . وهى مستنياك طول عمرها . . ويوم تزوجت «تهانى » قالت لى وربنا شاهد على كلمة قالتهالى . . قالت : ياخالتى سوف انتظره طول عمرى . . وسوف أكون جاهزة فى أى وقت . . ولن يكون لى أولاد إلا منه . . وقد تخانقت مع زوجها بسبب الخلفة . . وهى منعت نفسها . . وربنا شاهد على كل كلمة باقولها . . وقالت لى كده . واسأل « بدوى » .

ـ « بدوى » مين ؟

ـ صاحبك . .

ـ هو يعرف . .

ـ أنا قلت له إن « ماجدة » قالت وقالت . . « بدوى » بيحبك يا ابنى وأنا باحس دائمًا أنه أخوك وأنه ابنى . . وكان متعجبًا . . ولما طلقت « ماجدة » هو اللى ضرب تليفون من فيينا وقال لى : أؤكد لك أنها لن تتزوج . . وأنها فى انتظار إشارة من « صابر » . . زوجة ثانية . ثالثة . . رابعة . . إنها فى انتظاره دائمًا . . إرادة ربنا أن يحصل اللى حصل . . ولو تشوف عاملة فى ابنك ايه . . لو أخذنا منها الولد سوف تقتل نفسها يا ابنى . . الناس مندهشة إزاى أخذت أجازة من

شغلها وقاعدة بالولد ليل نهار . . ورايحة جاية به عند الدكتور . . كأنها أمه . . والله يا ابنى يمكن أمه ما كنتش حتعمل كده . . وهى تعمل ده من قلبها ياابنى !

ـ ليه بس كده يارب . . مش قادر ألاقيها من هنا ولا من هنا . .

ـ يا ابنى أرض بحكم ربنا يا « صابر » . . أنت مؤمن ياحبيبى . . ولازم تقول لى حالاً دلوقت . .

ـ أقول إيه ياماما ؟ . .

ـ تقولى لى أنا . . كلمة واحدة . .

ـ كلمة إيه ؟

ـ إنك لازم تتجوز « ماجدة » . . . . مش النهارده . . لابكرة . . كلمة واحدة . . وسيب الولد وشوف شغلك يا ابنى . . وابقى اسأل عليه بالتليفون . .

ـ فيه حاجة ياماما أنا ماقلتهاش لك . .

ـ عارفه يا ابنى . .

ـ عارفه إيه ؟

ـ عارفه إنك متجوز « مرجريت » وفرحت قوى يا ابنى . . «بدوى» قال لى عليها وعلى أخلاقها وعلى نبلها . . وعلى أنها سيدة عظيمة وأن حبها لك قد حببنا جميعا فيها . . عارفه ياحبيبى . .

ـ ورغم كده عاوزانى أتجوز « ماجدة » . . واحدة هنا وواحدة هناك . .

ـ انت نسيت أن « ماجدة » خالها السفير اللى عندكم . . وأنها إذا سافرت معاك سوف تعمل فى السفارة . . أنت ناسى أنها درست لغات . . وأن من أحلامها أن تعمل فى الخارج . . أنت نسيت يا «صابر » . .

ـ والله ما أنا عارف ياماما . . أنا متلخبط . .

ـ عارفه يا ابنى الله يكون فى عونك . . ولكن الطفل الصغير هو اللى محتاج للعناية فى كل لحظة . . كلمة منك وينتهى كل شىء على خير . .

ـ قولى أنت ياماما . .

ـ أنا برضه يا ابن الأصول اللى أقول يا « صابر » . .

ـ طيب ياماما . .

ـ ربنا يهدى سرك يا ابنى ويصبرك . . ويكملك بإيمانك وعقلك . . الحمد لله . . ربنا أخذ بنت حلال وبعث لك بنت حلال تحبك وكانت تنتظرك طول عمرها . . وربنا شاهد على كل كلمة باقولها . . إن أول علقه أخذتها من زوجها لأنها غلطت وقالت له يا « صابر ». . وحاولت تقنعه أن« صابر » هذا ابن خالتها . . وهم أطفال يلعبون. . وتناديه ويناديها . . ولم ينس لها هذه الغلطة. . الحمد لله على كده ، وربنا يكمل بخير وسلام . . مبروك يا ابنى . .

ـ إرادة ربنا . . آمنت بالله . .

الحلقة السابعة

فى مطار فيينا كانت « مرجريت » فى انتظاره . وقد ارتدت فستانًا أسود طويل الأكمام . وحملت فى يدها باقة من الورد . . وكانت معها زوجات الزملاء المصريين . . والحاج « عبد اللطيف درويش » من أغنياء فيينا . . وقد وضع وردة بيضاء فى الجاكتة وفى يده عصا . . وهو رجل لطيف . .

واقترب منهم « صابر »وكان الحاج «عبد اللطيف أسبق الجميع وعانقه وهو يقول له : الصبر يا « صابر » . . تشجع أنت جدع ويجب أن تبقى جدعا . . وأنت مؤمن ويجب أن تبقى مؤمنا . . شكلك مش عاجبنى . . أصفر شاحب . . كبرت عشر سنين . . أنا أجدع منك . . أنا زوجتى واثنان من أبنائى غرقوا فى الباخرة المتجهة إلى السعودية . . وادينى أمامك زى العفريت . . إنها أعمار وقضاء وقدر . . والحزن على الميت لا ينفعه ولا ينفعنا . . وسوف نموت ولا نجد من يحزن علينا . . خليك راجل وانت راجل يا

«صابر» البقية فى حياتك وتعيش وتربى ابنك أحسن تربية . . ألم يأت معك أحد . . كنت أظن أن والدتك سوف تأتى والطفل معها . . كيف حالها يا « صابر » . .

ـ الحمد لله . .

ـ ما تزال ساقها توجعها . . ولماذا لم تأت هنا للعلاج . . بعدين . . المهم أنت . .

« مرجريت » تعالوا سلموا على « صابر » (وأشارت إلى زوجات زملائه الموجودين فى القاهرة فى إجازة قصيرة) . .

ـ ازيك يا « صابر » . . خليك قوى . .

ـ شكرًا يا « متلده » .

ـ لازم تتشجع يا « صابر » أنت رجل مؤمن . .

ـ شكرًا يا « ماريا » . .

ـ « مرجريت » حكت كل شىء و « مرجريت » شديدة الحزن . . وبكت كثيرًا . . ولكنها لن تبكى أمامك حتى لا تبكى أنت أيضًا . .

ـ شكرًا يا « ديانا » . .

ولف ذراعه حول « مرجريت » . . وخرجوا جميعا من المطار . .

*   *   *

فى البيت كانت « مرجريت » قد غيرت ترتيب البيت . . والتفت « صابر » إلى منضدة عليها ورد حول صورة كبيرة لـ « تهانى » . .

وتوقف أمام الصورة وسأل « مرجريت » كيف ؟

ـ أنا طلبتها قبل وفاتها . . وكنت سأجعلها مفاجأة سارة لك . .

واقترب من « مرجريت » وعانقها وقبّلها وقبل يديها . .

ـ أنت عظيمة يا « مرجريت » . . كل يوم تكبرين فى نظرى . . كل يوم أزداد حبا واحتراما لك . . وأرى أنك أكبر تعويض دفعته السماء عن الكوارث التى أصابتنى بعد ذلك . . أنت تعويض دفعته السماء مقدما وأخيراً . .

ـ هل فى استطاعتى أن أسالك .

ـ عن أى شىء ؟ .

ـ عن أى شىء يقلقك . . الولد أين هو ؟

ـ مع والدتى . .

ـ وهل تستطيع تربيته والعناية به ؟ . .

ـ نعم . .

ـ ولكنها سيدة وحيدة مريضة . .

ـ سوف تأتى بمربية . .

ـ ولماذا لا أكون أنا المربية ؟!

ـ أشكرك . . ربنا يخليك يا « مرجريت » يا أحسن زوجة وأعظم أخت وأروع أم . . يانعمة من عند الله . .

ـ صارحنى يا « صابر » . . ماذا فكرت . . هل تستطيع أن تبقى

هنا وابنك هناك .

ـ لا . .

ـ هل تستطيع أن تعود إلى مصر بعد أن نجحت فى عملك . . ومن الممكن أن تنجح أكثر . .

ـ لا أستطيع أن أبعد عنك . . لا أستطيع مطلقًا . .

ـ إذن . . لا تستطيع أن تبعد عن ابنك . . ولا تستطيع أن تبعد عنى . . فإما أن أذهب أنا إلى مصر وإما أن يأتى هو إلى فيينا . .

ـ لا هو يجىء ولا أنت تذهبين . .

ـ كيف ؟

ـ أن اموت أنا !

ـ أنت تطلب من الله أن يعاقبنى . .

ـ لا . . وإنما أن يريحنى . .

ـ يريحك ويعذبنى ويعذب أمك وابنك . .

ـ لا أعرف ما الحل . .

ـ ليس الآن . . سوف نفكر فيها بعد . .

ـ . . . .

* * *

وظل « صابر » يتحدث تليفونيًا كل يوم إلى أمه . . طبعا ويسأل عن الطفل . . وكان لا يجد الأم وإنما كان يجد « ماجدة » . . وهى التى تحدثه عن صحة الطفل . . وأنه أحسن من كل الأطفال . . وأنه

يزداد صحة وأنه يضحك . . وأنها تعرض صورته على ابنه لكى يعرفها . . ويعرفه . . وأن الملابس التى بعث بها جميلة . . وأنها التقطت له صورًا مع كل اللعب والملابس . . وأنها سوف تبعث له بصورة تجنن . . صورته وهو يلعب . . وراء صورة والده . . وصورته وهو يقبل « صابر » . . وصورته وقد رسمت له شاربا ونكشت شعره . . والذى يراه يخيل له أنه « صابر » الصغير . .

إن هذه المكالمات التليفونية كانت مصدر سعادة له . . وهو حكى ما يدور بينه وبين « ماجدة » بشأن ابنه لكل الناس . . ولـ «مرجريت» أيضًا .

وكان يندهش أن أمه لا تنتظر مكالمته حتى عندما يحددها . . يبدو أن أمه كانت حريصة على أن يكلم « ماجدة » . . وكانت تسأل « ماجدة » عن كل كلمة قالها . . وما الذى أحبه وما الذى ضايقه . . وكيف أنه يضحك من كل قلبه . . عندما سمع من « ماجدة » أنها تركت الطفل لحظة فوجدته ابتلع قطعة من صورة والده . . ابتلع أنفه . . فالطفل أنفه صغير . . ومن يدرى ربما أدى الأنف الذى ابتلعه إلى أن يكبر أنفه أيضًا . .

وكان « صابر » يروى كل شىء لزوجته « مرجريت » .

وطلبت « مرجريت » من « صابر » أن يتحدث إلى والدته من البيت وليس من المكتب . . إنها تريد أن ترى السعادة على وجهه . . إنها تحب أن تراه سعيدًا . . وأن ترى الإشراق والبهجة يعودان إليه . .

وفى يوم عاد « صابر » إلى البيت ليجد « مرجريت » قد كتبت له مذكرة بجوار التليفون . قرأ المذكرة :

حبيبى « صابر » . . طلبوك من مصر أربع مرات اليوم . ولابد أن تتصل بهم . الأمر هام . ولكنه ليس سيئًا . لا تقلق . يبدو أنهم انتقلوا إلى شقة جديدة ورقم تليفون جديد . . وسوف يحدثونك عن ذلك . . أمك لطيفة جدًا . لقد حدثتنى بلطف . وشكرتنى على كل ما قمت به لك . . وإنها تعرف كل شىء . . سوف أعود فى المساء . قبلاتى الحارة الصادقة . . وإلى الأبد . « مرجريت » .

وجاء صوت أمه من القاهرة تقول له : مفاجأة . . لقد انتقلت «ماجدة» إلى شقة فى عمارة والدها . . الشقة جميلة على النيل . . الولد قاعد طول الوقت فى الشمس فى البلكونة . . الجو دافئ عندنا . . ولو بقيت وقتًا أطول فى القاهرة لرأيت الشقة ولكنك كنت مستعجلا .

ـ أين أنت ياماما ؟!

ـ ياابنى أنا موجودة . . أنا عاوزاك تتكلم مع « ماجدة » يا ابنى . . برضه دى بنت خالتك وأنت أملها فى الدنيا . . وعاوزه تسمع صوتك . . أما أنا فصوتك فى قلبى وفى ودانى طول الوقت . .

ـ والله انت مكارة ياماما . .

ـ ربنا قال على نفسه إنه خير الماكرين . . مش كده برضه !

ـ كده ياماما . . ربنا يخليك ياماما . فيه ناس سألوا عنك بالقوى . .

ـ مين يا ابنى .

ـ الحاج « عبد اللطيف » .

ـ ازيه يا ابنى .

ـ كويس زى العفريت . . كان فى المطار . . وحاطط وردة بيضاء فى الجاكتة وعايق زى ما هوه . . منتهى التصابى والفرفشة إنه لا يكف عن الضحك . .

رغم من كل المصائب . .

ـ لا يحمل لدنيا أى هم . .

ـ والله معاه حق يا ابنى . .

ـ أهوه أنت عندك نموذج كويس للرجل الذى هو أقوى من المصائب والشدائد والله الصبر من عند ربنا . . ربنا يلهمك الصبر ويدى لك طولة العمر . . امال بسلامتها « مرجريت » راحت فين ؟

ـ سافرت خارج فيينا وراجعة بالليل . . قالت لى إنك شكرتيها . . على كل ما قدمته لى وهى سعيدة بذلك . .

ـ ربنا يخليها لك يا ابنى . . والله ما أنا عارفه حتعمل فيها إيه يا ابنى . .

ـ تفتكرى واحد ابن أصل زيى يعمل إيه ياماما . . واحدة

أكرمتنى هل أهينها . . واحدة ساعدتنى واحدة شجعتنى . . والله من غيرها ياماما ولا كنت قعدت فى البلد دى لحظة واحدة . . واحدة أطفأت السيجارة فى فمى . . أول سيجارة وآخر سيجارة . . واحدة ترفض أن تقدم الخمور فى بيتها . احترامًا لى رغم أنهم يشربون الخمور أكثر من الماء . . واحدة اشترت سجادة لكى أصلى أمام الناس . . وليس فى ركن من البيت . . واحدة أسلمت من أجلى . . وإن شاء الله سوف تحج هذا العام . . وقد اختارت لنفسها اسم الحاجة « فاطمة » . . إيه أحسن من كده فى الدنيا ؟!

ـ ربنا يكرمك يا ابنى . . واللى فيه الخير يعمله ربنا يا ابنى . .

* * *

بعد أن فرغ من قراءة الصحف امتدت يده إلى يدى « مرجريت » وقبلها وقال لها : « مرجريت » .

ـ نعم .

ـ عندى كلام كثير .

ـ وأنا أيضًا .

ـ نتعشى الليلة خارج البيت .

ـ أحسن فكرة . .

ـ أنت عارفه عن أى شىء سوف أكلمك . .

ـ خليها مفاجأة سارة ؟

ـ الجلسة معك هى السرور كله . . وأنت عندك كلام ؟

ـ نعم .

ـ ماذا ؟

ـ مفاجأة .

ـ سارة ؟

ـ مؤكد .

ـ أنت دائماً أحسن منى فى الكلام وفى التفكير . . وأنت كل يوم تؤكدين لى أنك أعظم وأروع واحدة فى الدنيا . .

ودق جرس التليفون من القاهرة :

أهلا يا « ماجدة » . . وانت كمان . . كده . . ظهرت له سنة واحدة . . وهو الآن يضحك لواحده . . آه . . كنت « منتظر » إنك تبعتى لى « جواب » وصور العكروت ده . . « مرجريت » ، آه طبعًا موجودة . . منورة . . أنا اللى ساكن عندها . . يعنى إيه . . عندما تعرفيها سوف تفرحين بها . . إنها أعظم سيدة فى البلد ده . . فيه إيه . . ضيوف ؟ طيب . . وعليكم السلام . .

وظهر الضيق على وجهه . . وكانت « مرجريت » قد لاحظت كل ذلك . وحاول أن يفسر لها ما حدث ، ولكنه لم يستطع أن يقول لماذا تغير كل شىء عندما ذكر اسمها . . وكيف أن المكالمة قد انتهت فجأة . وتضايق مما حدث . وتضايق أكثر أنه كان أمام «مرجريت» . . وأنه لم يعرف كيف يفسر لها بالضبط ماذا حدث . ولكنها لم تكن فى حاجة إلى ذلك . .

وفى الطريق إلى المطعم وفى السيارة لم يدر بينهما كلام . . وكانت «مرجريت » تنظر إليه باهتمام شديد . وهى تعرف كم هو يحبها . . وتعرف أيضا كم هو حائر فى تربية ابنه . . ولابد أن أهله فى القاهرة قد وجدوا له حلا . . ولا يمكن أن تكون « مرجريت » هى الحل . . وهم يعرفون كل شىء عنها . ويعرفون أنها تزوجت مرتين قبل ذلك ولم ترزق بطفل . فالعيب فيها . . وربما تركها زوجاها السابقان لهذا السبب . . ولابد أنها لا تحب الأطفال أوتحقد على الذين عندهم أطفال . ولا يمكن أن ترى طفلاً لزوجها من امرأة أخرى حتى لو كانت قد ماتت . . إنها طبيعة النفس البشرية . .

وفى المطعم وفى ضوء الشموع ظهرت « مرجريت » أكثر جمالا . . بل إنه لم يرها أجمل من ذلك اليوم . . إنها ارتدت فستانًا ليس أسود ولكنه قاتم . . وكان وجهها جميلاً وشعرها طويلاً على جبهتها الجميلة وعلى خديها . . وعنقها الرقيق . .

« مرجريت » : ماذا ترى . . هل ترانى جديدة عنك ؟

ـ بل جميلة . . . أجمل من أى يوم رأيتك فيه . . إننى أحبك يا «مرجريت » أحبك حقا وصدقا . . ولم أتوقف عن حبك فى أية لحظة . . لا تقاطعينى يا « مرجريت » . . دعينى أملأ عينى منك . . أى جمال أودعه الله فى عينيك . . وأى صفاء . . وأى حب . . سبحان الله . . آه يا « مرجريت » لو رأيت الذى أرى لسقطت فى غرام نفسك . . وأى وجه هادئ جميل عميق . . سبحان الله كل هذا الجمال فى وجهك . . وأنفك الأشم . . كيف يكون الأنف نموذجًا

للكبرياء فى غير غطرسة . . وللأبهة فى غير غرور . . كل هذا أعطاه الله لى . . كيف لا أشكره عليك . . شكرًا لك يارب . . آه لو كان الله قد جعل ابنى هذا منك أنت . .

ـ لا تقل . . كفى !

ـ أنت على يقين من أننى أحبك .

ـ نعم .

ـ ولن يتغير . .

ـ . . . . . .

ـ لن يتغير يا « مرجريت » . . فأنت أقوى من أى شىء . أنت التغير الحقيقى فى كل حياتى . .

وانتهى العشاء . . وقد أحست « مرجريت » أنه كان فى نيته أن يقول شيئًا آخر . .

وأحس أنه كان فى نيتها أن تقول شيئًا . .

ولكنهما سعيدان . .

الحلقة الثامنة

ـ أنا أكلمك من المكتب . . فقد لاحظت أنك لا تستريحين إلى الكلام من البيت وفى حضور «مرجريت » أوعلى مسمع منها . . لا تسيئى فهم « مرجريت » . . لولاها . .

ـ أنا أعرف كل شىء . . طانط قالت لى . .

ـ قالت لك ماذا يا « ماجدة » . . .

ـ قالت كل حاجة . . كم خدمتك هذه السيدة . . وكم ساعدتك لوجه الله . . إعجابا بأخلاقك وتمسكك بدينك . . وأنا احترمها ومعجبة بها . . ومستعدة أن أشكرها أنا أيضًا . . فأى إنسان يؤدى لك خدمة يستحق منى الشكر على ذلك . . هل أنا غلطانة . .

ـ لا طبعا . . ولكن . .

ـ المهم أن حمادة . . نائم . . ولا أريد أن أوقظه لكى « تسمع صوته وهو يقول بابا . . و » .

ـ والنبى تسجلى لى صوته وهو يقول بابا . . أرجوك يا «ماجدة» . .

مش عاوزة حاجة من هنا . . أنا أرسلت مع أحد الأصدقاء سوف ينزل غدًا عددًا من البلوزات الجميلة وتاييرا . . وبعض العطور على ذوقى أنا لأنك حتى الآن لم تختارى أى نوع من العطور . . وأرسلت لماما بالطو أسود . . ليس أسود تماما أرجو أن يعجبها . . وإذا كان ضيقا أو واسعًا من الممكن أن ترده وأنا أبعث لها بواحد مضبوط عليها . . وأرسلت شنطة لمامتك . . أرجو أن تعجبها . .

ـ لا تكلف نفسك كثيرًا . . فعندنا كل حاجة . . وأنت عارف أن ماما كانت فى باريس من أسبوعين . . ولفّت على كل المحلات وأفلست تماما وراجعة تتحسر على الذى لم تستطع أن تشتريه . . تصور !

قولى لى « ماجدة» . . قررت إيه .

ـ قصدك إيه ؟

ـ انت عارفه .

ـ انت اللى تقرر . .

ـ ماما مش قالت لك . .

ـ لازم أسمع منك أنت . .

ـ أنا كتبت لك جوابا . .

ـ هل المسافة بيننا بعيدة لدرجة أننا فى حاجة إلى جوابات . .

ـ مش عارفه أقول لك إيه . . أنت لست فى حاجة إلى أن تقول . . أنا عارفه كل حاجة . .

ـ يعنى إيه ؟

ـ كل حاجة . . يعنى كل حاجة !

ـ مش فاهم . .

ـ لولا أن حبك فوق كل وصف . . ولولا أننى لا أرى فى الدنيا سواك . . ولولا أننى مرتبطة ونحن نلعب فى الحارة . .

ـ يعنى إيه ؟

ـ يعنى أننى لولا هذا الحب العميق ما كنت وافقت أبدًا أن أتزوجك وأنت زوج لسيدة أخرى . .

ـ ماما قالت لك كل حاجة فعلاً .

ـ وبعدين ؟

ـ كما ترى . .

ـ أرى ماذا ؟

ـ مكتوب على أن أكون الزوجة الثالثة . . عندما تزوجت «تهانى» كنت فى الانتظار لكى أكون الزوجة الثانية . . والآن سوف أكون الزوجة الثانية فى فيينا . . والثالثة فى حياتك . . وكنت أتمنى أن أكون الأولى والأخيرة . .

ـ عندك حل .

ـ هذا هو الحل . وأنا أحاول أن أرضى به . . وأنا أجد لك ألف عذر . . هل استرحت ؟

ـ نعم . .

ـ وأنا سعيد أننى استطعت أن أريحك . . وأتمنى أن أكون مصدر راحة وسعادة لك أنت وابننا حمادة .

ـ مش عارف أقول لك يا « ماجدة » . . .

ـ عندى إحساس أن ربنا يحبنى . . لقد هيأ لى من وقت لوقت من يسعدنى ومن يعصمنى من الخطأ . . الحمد لله والشكر لله . . والله ما أنا عارف أشكرك إزاى يا ماجدة . . يمكن أغلط مرة وأقول لك يا « تهانى » . . أو يا « مرجريت » اعذرينى أرجوك . .

ـ عذرتك أنت قلتها لى مرة وظللت أبكى طوال الليل . . ولكن وجدت لك عذرًا .

ـ لا تنسى اننى متلخبط . . وأننى ألعوبة فى القدر . أنا لا أعرف بأى شىء ضربنى القدر . . بالكف أو بالشلوت . . اصبرى الله يخليك يا « ماجدة » . . أبعث لك ألف قبلة . . منها واحدة لحمادة . . لا إله إلا الله .

ـ محمد رسول الله . .

* * *

فى بيت والدته جلس بدوى مع الحاجة « » أم « صابر » .
قالت له : يا « بدوى » يا ابنى ما الحل ؟

ـ مفيش غير حل واحد ياحاجة . .

ـ إيه يا ابنى ؟ .

ـ تتزوج «ماجدة» . . ويسافر بها . . ويطلق « مرجريت » . . وإن كنت أنا شخصيًا لا أعتقد أنه من الممكن يطلقها أبدًا . وبعدين القانون النمساوى يمنع الزواج من أكثر من واحدة .

ـ والحل يا ابنى ؟

ـ الحل ألا تعلن « مرجريت » أنها زوجة له . . وأنا أعتقد أنها سيدة عظيمة . . وأنها من الممكن أن تفعل ذلك . . ولكن .

ـ ولكن إيه يا ابنى ؟

ـ ما موقف « ماجدة » . . ؟

ـ هو ده اللى شاغلنى جدًا . . أنا قلت لها أن « صابر » متزوج . .

ـ لا أريد أن أخفى عنها أى شىء . . لا أريد أن أغشها . . وأنا عارفه « صابر » كان لابد أن يصارحها بكل شىء . . فصابر لا يكذب ولا يراوغ أنا متأكدة . و « ماجدة » . . عاقلة جدًا وهى الآن تعرف الحقيقة . . وهى متمسكة بصابر وحمادة . . ولكن «ماجدة» . . ست وكلنا ستات . . ومن حقها أن يكون لها وحدها . . طبيعى يا بدوى والأمر الآن بين « صابر » وبين « ماجدة » . . . . .

ـ أنا اتكلمت مع « ماجدة » . . امبارح . . وقالت لى إن الوضع الذى يختاره « صابر » سوف نوافق عليه . . مهما كان فليس عندها أغلى ولا أعز من « صابر » . . وقالت لى : أنا واثقة من أن « صابر » سوف يختار الذى يؤكد حبه واحترامه لها . . واحترام السيدة «مرجريت » أيضًا . ثم إنها ليست مستعجلة . . وأهم شىء عندها

أن تجد نفسها مع حبها الأول « صابر » . . ومع حبه الأول والثانى هى وابنه . . منتهى العقل ياحاجة ! .

ـ إيوه . . لكن الست مننا فى بعض الأحيان يركبها عفريت والغيرة تحرق قلبها . . أنت عارف يا ابنى . . ربنا يهدى سرهم . . ربنا كريم يا ابنى و « صابر » يستأهل كل خير . .

ـ طيب تحبى أتكلم مع « صابر » . .

ـ لا . .

ـ ولا مع «ماجدة» . . .

ـ ولا « ماجدة » . . . . الأفضل أن تترك لهما كل شىء . . والحب زى ما بيقولوا يصنع المعجزات . . وقد صنع المعجزات . . فـ «ماجدة» . . كان لابد أن تترك زوجها حتى لو كانت عايشة معه فى الجنة . . فهى لم تنس « صابر » لحظة واحدة . . ومن العجيب يا ابنى أن كان عندها إحساس أنها سوف تتزوج « صابر » . . ولا أعرف من أين جاءها هذا اليقين . . قالت لى كده يوم زواجها هى ويوم زواجه هو. . وأنا كنت أندهش واسكت ! شىء عجيب . . الدنيا دى غريبة . . شوف علشان « صابر » يتزوجها انقلبت الدنيا . . وعاش اللى عاش ومات اللى مات . . وإيه اللى حصل لـ « صابر » فى فيينا وإيه اللى حصل لـ « ماجدة » . . فى الرياض . .

ـ فى الرياض .

ـ آه . . ما هى تزوجت وسافر . . إلى الرياض وتم الطلاق هناك

وعادت إلى مصر . . دول الاثنين هى وجوزها وقفا عند الكعبة وتعاهدا أمام الله على الحب . . وطلبت هى من ربنا أن يزوجها من «صابر » . . واستجاب ربنا لدعائها . . ويظهر أن زوجها لم يطلب من الله شيئًا . . لقد ضحك عليها . . وهى كمان ضحكت عليه . . وكل واحد منهما طلب حاجة ثانية . . واستجاب ربنا لدعاء الاثنين . . والله ياابنى حاجة عجيبة . . كله بمشيئة الله . .

ـ أنا سألت « صابر » ياحاجة امتى الزواج ؟

ـ قال لى يوم ١٧ . . اسْمعنى ؟ لا هو ١٥ ولا هو ٢٠ !

ـ والله يا ابنى ما أنا عارفه . . آه . . أنا فهمت دلوقت . . لأن زواجه الأولانى كان يوم ١٧ . . وهو لم ينس « تهانى » لحظة واحدة . . و « تهانى » دى يا ابنى كانت حساسة زيادة عن اللازم يرحمها برحمته . .

ـ وبعدين . . لو عرفت « ماجدة » . . حتقول إيه . .

ـ « ماجدة » . . عاقلة قوى يا ابنى . . المهم عندها هو أن «صابر » رجع لها . . يوم ١٧ يوم ٢٧ مش مهم . .

ـ إنت كلمتيها ياحاجة . .

ـ لا . . ولكن أنا عارفة « ماجدة » . . . إيه ! اللى عاوزه ربنا هو اللى يصير . .

ـ خير إن شاء الله يا حاجة .

ـ ربنا كريم يا ابنى .

شىء غريب بدأ يظهر على وجه « مرجريت » . . يلاحظه «صابر» ولكنه لا يسأل . . لايريد أن يسأل . . لا يجرؤ . . ولكن «مرجريت» واثقة أكثر وعاقلة وأنضج . ولاحظ « صابر » أنها قلبت فنجان القهوة . فضحك وقال لها : أنت تعلمت قراءة الفنجان .

ـ أخيرًا .

ـ صحيح تستطعين أن تقرئى الفنجان .

ـ أحاول . .

ـ وكيف تعلمت ذلك .

ـ من « ثريا » .

ـ « ثريا » مين ؟

ـ بنت الحاج « عبد اللطيف » . .

ـ وعرفت « ثريا » أيضًا . . والله برافو عليك يا « مرجريت » . . وماذا تجدين فى فنجانى . .

ـ أنت حائر جدًا . . مرة أخرى بين امرأتين . . صح ؟

ـ ليس بالضبط .

ـ وأنت لا تتكلم فى هذا الموضوع . . ولكن كل الذين حولك . واحد . . اثنين . . ثلاثة . . كلهم يقفون وراءك ويتهامسون . . ولكن أحدًا لا يجرؤ على أن يصارحك . .

ـ غريب . .

ـ وفى فنجانك حب كبير .

ـ أنت .

ـ وحب آخر . .

ـ حب آخر لا . .

ـ ابنك ليس حبا آخر ؟

ـ إنه حب وحيد ولكن من نوع مختلف . . حب فيه الحنان والقلق عليه . . والاستعداد للتضحية من أجله بأى شىء . . أما حبك أنت فهو : الإعجاب والاحترام والسعادة والامتنان العميق . .

ـ حب آخر . .

ـ حب ثالث . . لا أظن ذلك . . هل معقول أن يحب الإنسان ثلاثة فى وقت واحد . . ممكن أربعة أنواع من الحب . . حبى لأمى وحبى لك وحبى لابنى وحبى لبلدى . . أو حبى لعملى . . كلها أشكال وألوان من الحب . . كل هذا فى الفنجان . . شىء غريب . .

وسكت الاثنان . .

وعاد « صابر » يقول لها : « مرجريت » إننى أعرفك . . إن هذا الذى تقولين ليس فى الفنجان ولكن فى دماغك أنت .

ـ صحيح .

ـ ماذا فى دماغك ؟

ـ كل الذى سمعت . .

ـ أو ضحى يا « مرجريت » . .

ـ أنت تعرف . .

ـ ما الذى أعرف . .

ـ أنت فى حاجة إلى من يربى الطفل . . وقد وجدت من يستطيع ذلك . . التى تحبه وتحبك أيضًا . صح ؟

ـ صح . وكيف عرفت ذلك ؟

ـ لا أحد يسأل واحدة تحبه حبا عميقا كيف عرفت . . إن التى تحب تسمع أكثر مما تتصور وترى أكثر مما تتخيل . . ولا تكف عن السؤال عن كل الذين حول رجلها . . فى فيينا أو فى مصر . . ولا تسألنى من الذى قال ولا من الذى قابلت . . لقد فكرت فى كل شىء . .

ـ وحدك . .

ـ لابد أن أكون وحدى . تماما كما كنت أنت وحدك فى القاهرة وفكرت وقررت . . ولا تعرف كيف تواجهنى بهذا القرار . . ولكنى أعرف . مبروك . .

ـ . . . . .

ـ ولذلك أنت تبحث عن شقة أخرى . . . وفى نفس الوقت أنا وجدت شقة لى . . أنا سوف أبعد فى المكان فقط . . ولكن سوف أظل على حبى لك . . فمن حقها أن تكون زوجة لك . وأن تكون الأقرب وأن ترى ابنك . . أعرف كل ذلك . . ولكنى راضية بنصيبى

فيك . . وسوف أكون فى انتظار ما تريد منى ولن أذهب إلى أبعد مما أعطيتنى . .

ـ . . . .

ـ نقطة واحدة باقية . . إننى لن أتسلم الشقة الجديدة إلا بعد ثلاثة شهور . . وأعلم أن زوجتك سوف تصل ومعها الطفل بعد شهر واحد . . وليس لها إلا هذه الشقة . . وسوف أتركك لكما هذه الشقة مؤقتا . .

ـ إننى لا أجد الشجاعة دائمًا على المواجهة . . أنت أفضل منى كثيرًا . .

ـ إن هذا يسعدنى . . وهذا يدل على مكانتى عندك . . فأنت لا تقوى على مضايقتى . . وأنا أيضًا لا أقوى ، ولذلك صارحتك ولذلك لم تصارحنى أنت . .

ـ لا أعرف كيف أشكرك . .

ـ وأنا أتمنى لك السعادة . . وسوف أبقى دائمًا حيث تشاء . . أما حبى لك . . فلا نهاية له . . ويتعانقان . .

فى مطار فيينا وقف عدد من المصريين ينتظر العروس «ماجدة» . .
ومعها الطفل « حمادة » . . كانت « مرجريت » أول من تقدم للعروس
بباقة من الورد . . ومن بعدها توالت زوجات المصريين النمساويات
والمصريات .

وقام « صابر » بتقبيل الطفل قبل أن يقبل زوجته . . ثم قبّل
زوجته . . ونظرت « مرجريت » إلى لهفة الأب على الطفل وليس على
العروس ، وأسعدها ذلك . . وكأنها قد جاءت لترى أيهما أهم عند
«صابر» : العروس أم الطفل . .

رأت الطفل هو الأهم وهو الذى أتى بهذه الزوجة الجديدة . .

وتقدمت « ماجدة » . . إلى السيدة « مرجريت » وقالت لها :
طبعا مدام « مرجريت » لقد حدثنى عنك « صابر » كثيراً . . وكل
المصريين أيضًا . . الجميع معجب بأخلاقك وخدماتك لهم
جميعا . . وأنا أحببتك من كلام المصريين جميعا ومن كلام « صابر »

خصوصًا . . أنت أجمل من كل الصور . .

« مرجريت » : شكرًا لك ، وأنت أيضًا حديث المصريين جمالا وأصلا وأخلاقا وحبا عميقا لصابر . . إنه يستأهل حبك ، وأنت أيضًا تستأهلين حبه لك . . وكل الناس هنا يحبون « صابر » . . كلنا نحبه . . وسوف يحبونك أيضًا . . أنا متأكدة . .

وركبت السيارة مع « صابر » . والتفتت إليه تقول له : وهيه دى بقى « مرجريت » اللى أنتو طالعين بها السماء . . دى ست كبيرة . . فى سن والدتك . . اللى يسمع الحكايات والروايات يقول ياما هنا وياما هناك . .

ـ سوف تحبينها أكثر . .

ـ وأحبها ليه ؟ . . كفاية عليها حبك أنت . . حتلاقى أحسن من كده إيه . . ودى حنشوفها كل يوم .

ـ نحن سوف نعيش فى بيتها .

ـ فى بيتها ؟

ـ مؤقتًا .

ـ يعنى كام يوم .

ـ لا كام شهر . .

ـ إزاى .

ـ لا يوجد سكن بهذه السهولة فى فيينا . .

ـ أنت قلت لى إن شهر العسل سوف يكون خارج فيينا .

ـ إيوه . .

ـ وهيه سوف تكون معنا . .

ـ لا . . لا . . سوف تسافر بعيدًا وتعود إلى البيت بعض الوقت تمهيدًا للانتقال لشقة أخرى . . ولن تبقى فى هذه الشقة . .

ـ طبعًا .

ـ لأن هذه الشقة ملكها هى . . البيت ملكها . .

ـ بلاش الكلام فى الموضوع الآن . . بعدين؟ مش كده ياحبيبى؟ . .

ـ فعلا . . بعدين . . أهلا بك فى فيينا ياعروسة . .

ـ « مرسى » ياحبيبى . .

ـ تحب نعمل إيه الليلة . .

ـ أنا . . ولا أحنا الاثنين يجب أن نسأل حمادة . . هل يسمح لنا بالخروج الليلة .

ـ طبعا . . نترك الطفل لمدام «مرجريت » الليلة . . أو طوال شهر العسل . .

ـ اتركه شهرًا ؟ لا يمكن . . مستحيل ! . . ده أنا أموت !

ـ اللى يريحك بقى .

ـ نتركه الليلة فقط . . وبعد ذلك سوف يكون معنا . . ألا يمكن أن نجد داده . .

ـ داده ؟ هنا فى النمسا ؟

ـ آه . . وفى أى مكان تسافر معنا . .

ـ إنت عارفه كم يكلفنا هذا . .

ـ أعرف . . وهل نسيت أننى سيدة غنية والا ايه . .

ـ نسيت والله .

ـ أذكرك بأننى قادرة على أن آتى له بداده واثنين كمان .

ـ زى ما أنت عاوزه . .

ـ ممكن اسأل « سؤال » . .

ـ تفضلى . .

ـ هل من الممكن أن نقيم غداء لزوجات أصدقائك اللى كانوا فى المطار لكى أتعرف عليهم جميعًا . .

ـ ممكن . . فكرة جميلة . . آه نسيت أقول لك . إن « مرجريت » عندها فكرة تدعونا إلى العشاء أى يوم تختارينه أنت . .

ـ لازم « مرجريت » . .

ـ على كيفك . .

ـ بلاش « مرجريت » . .

ـ وأنت إذا دعوت زوجات المصريين هنا . . فسوف تقيم كل واحدة منهن غداء أو عشاء لك . . فأنا أفضل عند العودة من شهر العسل . .

ـ هل هو شهر . .

ـ ليس بالضبط . .

ـ حسب ظروفك أنت . .

ـ ظروفى تسمح بأسبوع . .

ـ لا مانع . . على أن يكون لى فى حسابك ثلاثة أسابيع أخرى فى ظروف أخرى .

ـ أشكرك .

ـ بل أشكرك أنت ياحبيبى !

* * *

فى أحد الفنادق تلقت « ماجدة » . . مكالمة تليفونية من حماتها . . وكانت فى غاية السعادة « ماجدة » . . : أنا قابلت « مرجريت » ياطانط . . جميلة جدا ياطانط ومش باين عليها سنها أبدًا . . وطيبة جدًا . . وعاقلة جدًا . . لو رأيتها سوف تحبينها والناس هنا جميعًا يحبونها . . وسوف تترك لنا البيت . . وبعد ذلك تنتقل إلى شقة بعيدًا عنا . . ونحن سوف نبحث عن شقة جديدة . .

الحاجة « عديلة » : أنا مبسوطة أنك أحببت « مرجريت » . . والله يا ابنتى أنا كمان حبيتها من بعيد . . من كلام « صابر » وكل المصريين عنها . . الحمد لله أنك مبسوطة ربنا يديم عليكم السعادة . . ابقى كلمى ماما يا « ماجدة » . . لأن الصوت لم يكن واضحًا فى المرة اللى فاتت وهى موجودة فى بيت « اخوك » محسن . . أوعى تنسى . .

« ماجدة » : « صابر » ما قدرش يكلمك ياطانط . . لأنه نزل الصبح بدرى وبسرعة . .

« عديلة » : لا . . يا ابنتى كلمنى من القطر . . آه والنبى كلمنى . . ياحلاوة القطر عندكم فيه تليفون . . حاجات غريبة يابنتى . . ربنا يسعدكم ويجعل كل أيامكم « أعياد وأفراح » . . الحمد لله على كده يا ابنتى . . وبوسى لى « حمادة » و « صابر » . . من حق يا « ماجدة» . .

إيه الحكاية اللى طالعة فى دماغ « صابر » ابنى . .

ـ إيه ياطانط فيه . .

ـ يابنتى عاوزنى أتعالج عندكم . .

ـ تنورينى وتشرفينى ويسعدنا ياطانط . . ياريت . . الفكرة دى كانت فى بالى . . ومش عارفه إيه اللى شاغلنى . . أحسن حاجة سمعتها النهارده . . ياريت ياطانط . .

ـ والله مفاجأة يابنتى .

ـ مفاجأة حلوة . . بس « صابر » كان لازم يقول لى .

ـ حنغير والا ايه ؟!

ـ منك أنت ياطانط . . دى أنت على عينى وعلى رأسى من فوق ياطانط . .

ـ أنا عارفه يابنتى . . لا إله إلا الله . .

ـ محمد رسول الله . .

نزلت « ماجدة» إلى الحلاق . . ثم راحت واشترت فستانًا جميلاً . . وقفت أمام المرآة طويلا . . فاليوم هو حفل العشاء الذى تقيمه «مرجريت» لـ «ماجدة» ولأصدقاء «صابر» من المصريين وزوجاتهم .

ولم تشأ « مرجريت » أن يكون العشاء فى بيتها وإنما فى مطعم صغير أنيق جدًا فى أحد شوارع فيينا . . والمطعم صغير . . ولكنه جميل جدًا . . ويبدو أن له قيمة تاريخية . . فالأسماء على الجدران والصور وكلها شخصيات قديمة . . وصاحب المطعم رجل كبير فى السن . . وزوجته أيضًا . .

وعند الباب الخارجى وقفت السيدة صاحبة المطعم ترحب بالضيوف وتعطى كل سيدة وردة حمراء . .

ثم جاء « صابر » و « ماجدة » وقدمت لهما باقة من الورد . . شمها « صابر » وقدمها لزوجته لكى تشمها . . مفاجأة . . إنه ورد بلدى مصرى !

وفى الداخل وقفت « مرجريت » أكثر جمالا وأناقة . . ووضعت فى صدرها عقدًا من الماس وفى أذنيها وفى أصابعها . . أما الفستان فطويل محتشم . . الكم طويل والصدر قد تغطى والفستان طويل . . وكل شىء يدل على سعادتها . . ولم يستطع أحد الا أن يبدى إعجابه بجمالها وأناقتها . .

أما « ماجدة » فهى الأخرى كانت جميلة . . شابة حلوة شعرها أسود . . وعيناها خضراوان . . ووضعت فى صدرها عقدًا فخمًا جميلاً من اللؤلؤ . وفى يديها وفى أصابعها وفى أذنيها . .

وقدمت لـ « مرجريت » هدية مصرية ثمينة صندوقًا من الفضة المبطن بالأحجار . . وفى داخل الصندوق مصحف صغير . . فى

صندوق من الفضة . . ثم عقد من الذهب يتدلى منه مفتاح الحياة عند الفراعنة . .

وجلسوا حول الشموع وكانت ليلة بديعة . . جلست « ماجدة » على رأس المائدة وجلست « مرجريت » على الجانب المواجه لها . .

ووقف الضيوف يقدمون هداياهم ويتمنون للعروسين كل سعادة . .

أما « مرجريت » فقدمت صاحبى المطعم : والدها ووالدتها . .

وكانت مفاجأة فهى لم تحدث أحدًا عن والديها . .

ثم نظرت إلى الباب وقالت وهؤلاء إخوتى وزوجاتهم . . أربعة من الرجال وزوجاتهم وقد ارتدين الملابس النمساوية التقليدية وكل سيدة قدمت للعروس هدية صغيرة . .

وكان مفاجأة للجميع ، فهى لم تحدث أحدًا عن إخوتها وزوجاتهم .

وقالت : إنهم جميعًا يسكنون فى هذه العمارة التى فوقنا . . لأنها عمارة يملكها أبى وأمى . .

ثم قالت فى هدوء وفى أسى رقيق : وفيها شقة خالية . . أرجو أن أنتقل إليها !

وأدركت « ماجدة » أن « مرجريت » قد قررت أن تبعد عن زوجها . . وإن الحزن الرقيق لم تستطع أن تخفيه . . كأنها أرادت أن تؤكد لـ « ماجدة » أنها حتى لو تزوجته فسوف تظل تحبه . . أو حتى لو ابتعدت فسوف يبقى « صابر » قريبًا من قلبها . .

وفهمت « ماجدة » الرسالة العابرة التى بعثت بها « مرجريت » على مسمع من الجميع . .

وفى الطريق إلى البيت قالت « ماجدة » : لم أكن أتصور أن «مرجريت» بهذه الرقة . . وبهذا الجمال . . إننى أحترمها . . وأحبها . . والناس معذورون فى حبها . . كيف تستطيع امرأة عاشقة أن تودع حبها إلى زوج غيرها بهذه الرقة وهذا الاحترام وهذه الكبرياء الجريحة . . إننى لا أستطيع أن أقف مثل هذا الموقف . . إنه موقف صعب . . يؤكد شخصيتها القوية وحبها الأقوى . . وعجزها عن إخفاء ذلك كله . . إنها عظيمة يا « صابر » . . وأنت معذور فى حبها . . وهى أيضًا معذورة . . إننى لم أخطئ عندما أحببتك فكل الذين يعرفونك يحبونك . . إننى سعيدة بأننى أحببت من يحبه كل الناس . . إننى سعيدة بأن أحدًا من الرجال والناس لا يقوى على تجاهلك . . أو اللامبالاة لك . . لابد أن يحبك . . فأنا مثل كل الناس أحببتك ولم أتصور الحياة من غيرك لحظة . . وعندما كنت بعيدًا كان عندى إيمان مطلق بأنك سوف تعود وسوف أكون لك . .

ـ . . . . . .

ـ « صابر » . . تعرف نفسى فى إيه . . نفسى تقول لمدام «مرجريت» أن تبقى فى شقتها معنا . . إننى أحبها . . والله أحببتها من كل قلبى . .

ـ قولى لها أنت . . أما أنا فلا أستطيع فهى قررت قبل مجيئك إلى فيينا . . بل هى التى حدثتنى عنك وعن حياتك هنا . وعن ذهابها

إلى مكان آخر . . مع حبها لنا واحترامها العميق .

ـ حبها لك . .

ـ بل حبها لك أنت أيضًا . . هذا ما قالته أمس .

ـ متى ؟

ـ عندما ذهبت أنت إلى الحلاق قالت لى : إن عروسك الجميلة سوف يحبها كل الناس هنا . . إنها رقيقة أنيقة وحبها لك واضح جدًا . .

ـ هى قالت ذلك ؟

ـ والله العظيم قالت ذلك بالحرف الواحد . . وأنت تعرفين أننى لا أكذب . .

ـ أنا سعيدة . . بكل كلمة قالتها . .

ـ الحاجة « فاطمة » .

ـ من الحاجة « فاطمة » ؟

ـ هى . .

ـ عندما أسلمت غيرت اسمها . . وسوف تحج هذا العام . . ويكون اسمها الحاجة « فاطمة » .

ـ أنت عاوز تجننى ؟

ـ ليه . . ؟

ـ إننى أزداد حبا لها لحظة بعد لحظة . .

ـ كنت متأكدًا من ذلك . .

ويتعانقان . .

الحلقة العاشرة

فى أحد مطاعم فيينا جلس « صابر » و « ماجدة » . . هو قد ارتدى البدلة الأنيقة والكرافتة . . وهى أيضًا فى غاية الشياكة . .

وعزفت الموسيقى : سنة حلوة ياجميل . . هابى برثداى تو . . يو . .

والتفت كل الحاضرين ليروا التورتة ذات الشمعة الواحدة وقد استقرت على المنضدة أمامها . . إنهما يحتفلان بعيد زواجهما الخامس . .

اقترب « صابر » من « ماجدة » وقال لها : « ماجدة » كل يوم أكتشف أنك جميلة شكلا وموضوعا جميلة وجها وقلبا . . سبحان الله . . كنت أمامى طوال عمرى . . ولكن كان شعورى دائمًا أنك مثل أختى . . وفى الوقت نفسه أحسست أن الأسرة تريد أن تفرضك فرضا لأنك بنت خالتى . . ولم أنظر إليك نظرة رجل غريب عنك . . ولكنها مشيئة الله . . وبعدين يا « ماجدة » . .

« ماجدة » : بعدين إيه ؟

« صابر » : إنت عارفه .

ـ لأ مش عارفه . .

ـ لأ عارفه . .

ـ آه تقصد . . إننى مانعه نفسى من الحمل . . أنا قلت لك مش قبل أن يصبح حماده قادرًا على أن يخدم نفسه . . والآن إن شاء الله سوف يكون لنا بنت بإذن الله . .

ـ أكيد . .

ـ ربنا كريم . .

ـ يعنى أنت حامل . .

ـ أيوه . .

ـ ياما إنت كريم يارب . . وأخفيت عنى هذا الخبر السعيد . .

ـ أنا لم أخفه . . وإنما ذهبت إلى الطبيب اليوم . . وانتهزت هذه الفرصة السعيدة لأجعلها سعيدة مرتين . .

ـ الحمد لله . . لابد أن أنقل هذا الخبر لماما فى المستشفى . .

ـ أنا سبقتك وقلت لها . . وهى فى منتهى السعادة . . وكادت تنط من السرير ولكن أنا منعتها . . تعرف يا « صابر » المصريون دول فيهم حاجة غريبة . . تصور أنهم يتناوبون عليها صباحا ومساء . . تماما كما يفعلون فى مصر . . هذا معه ورد . . وهذه معها مجلات من مصر . . ولا أعرف كيف وجدوا اللب الأسمر . . تصور أتوا باللب

والسودانى والفستق . . والقهوة التركى . . والكنكة والفنجان . . وحتى البن محوج . . تصور فيه حبهان . . إنهم يشغلونها تمامًا عن أى ألم . . حكايات ونكت وقصص من حضر ومن سافر . . أما الحاج « عبد اللطيف» وأولاده . . وخصوصا « ثريا » بنته لا يفارقونها لا ليلاً ولا نهارًا ويأتون لها بالملوخيا . . وفتة الكوارع هل هذا معقول . . حتى المخلل . . كأنها فى مصر بالضبط . . إن هذه البلاد لم تغير من العادات الكريمة عند المصريين . . أعجب هدية تلقتها النهارده صندوق من الجبنة الدوبل كريم وفيها فلفل أخضر . . جبنة دمياطى فى فيينا ؟!

ـ يعنى أنت قلت لماما قبل ما تقولى لى . .

ـ طبعًا . . إن مثل هذا الخبر يجب أن تقوله سيدة لسيد ة . . أن تكون الأم أول من يتلقى هذا النبأ السعيد . . وأنا أعرف حب أمك لى ولك . .

ـ طيب قلت لأمك .

ـ طبعا . . إنها أسعد إنسان فى الدنيا الآن . . وكانت تعيسه على زواجى الأولانى . . كما كانت تعيسه بسبب زواجك الأولانى أيضًا وكنت أقول لها : سوف نتزوج ياماما . . وكانت تقول : أنت مجنونة زى أبوك . .

ـ وليه زى أبوك . .

ـ إنها نفس القصة . . فقد تزوجت أمى رجلاً آخر غير والدى وهو ابن عمها أيضًا . . وكان يقول : إن زواجها هذا بضغط من

أمها . . ولكن لابد أن أتزوجها ولن أتزوج غيرها وسوف أنتظرها . .

ـ حكاية غريبة أنا أول مرة أسمعها . .

ـ إنها حكاية قديمة عمرها أكثر من أربعين سنة . .

ثم ماذا حدث . .

ـ لقد فوجئت أمي بأن زوجها الأولانى أخفى عنها زواجه من واحدة بنت عمه غنية . . فطلبت الطلاق وأصرت عليه . . وكان والدى فى انتظارها . .

ـ هل اقترح شيئًا ؟

ـ أعرف الذى سوف تقترحه . . لقد حدث يا أستاذ . .

ـ صح . .

ـ ايوه . .

ـ طيب أنت عارفه أنا كنت عاوز أقول إيه . .

ـ من غير ما تقول أنا عارفة . . طبعًا قلت لـ « مرجريت » . . وهى سعيدة جدًا . . وقد تلقت النبأ والدموع فى عينيها . . والله الدنيا بخير يا « صابر » . . الواحدة بتشوف حاجات فى البلاد دى لم أكن أتصور أنها موجودة أبدًا . . فعلا الدنيا بخير . . والخير كثير ولكننا يجب أن نصبر عليه حتى نهتدى إليه . .

* * *

الشقة الجديدة لـ « صابر » و « ماجدة » . . وكل دقيقة يدق جرس الباب . . ورد من الضيوف . . وبعض الهدايا . . وعلب

الشيكولاتة والبسكويت وفى المطبخ خادمة جاءت من مصر . . و«حمادة» يلعب فى كل مكان . . والموسيقى الهادئة الناعمة تتردد فى الشقة اللامعة . . لقد أقامت « ماجدة » حفلة شاى للأصدقاء . .

وكان أول من قدم إلى الشقة « مرجريت » ولم تكد تفتح الباب حتى رأت صورتها الكبيرة على الحائط يراها كل من يدخل البيت . . فاغرورقت عيناها بالدموع واحتضنت « ماجدة » وقبلتها . .

وتقدمت منها « ماجدة » تشير إلى صورة « مرجريت » : طبعا أنت تعرفين صاحبة الصورة . . هذه صورة والدة « صابر » . . وهذه صورة والدتى . . وهذه صورة « حمادة » وهذه صورة المرحومة «تهانى» . . وهذه صورة والدى . . وهؤلاء إخوتى . . وهؤلاء إخوة «صابر » . .

« مرجريت » : لا أعرف ماذا أقول . . أنا لا أستحق كل ذلك . .

ـ بل أكثر من ذلك . . نحن كل يوم نزداد حبا لك . .

ـ وأنا أيضًا . .

ـ أنا لا أصدق ما أرى وأسمع . . لم أكن أتصور أن فى الدنيا كل هذا الحب وكل هذا الصدق . .

ـ شكرًا . .

وجاء « صابر » فتقدم إلى « مرجريت » وشكرها على الحضور وقبّلها فى خديها وفى يديها . .

« ماجدة » : لم تلاحظ شيئًا هامًا . .

ـ ماذا ؟

ـ انظر !

ـ الله صورة جميلة لشخصية أجمل وأرق وألطف من خلق الله . . شكرًا لك ياحبيبتى . . وراح يقبّل زوجته فى خديها وفى يديها أيضًا . .

« صابر » : أين الضيوف ؟ . .

« ماجدة » : سوف يجيئون ولكن أنا أردت أن تجىء «مرجريت » وحدها لكى أجلس إليها قبل أن يأتى الضيوف . .

وتوالى الضيوف ورأوا صورة « مرجريت » وعانقوها وقبّلوها . .

* * *

وبعد الحفلة ذهبوا جميعًا إلى والدته فى المستشفى . . وتلقوا مكالمة تليفونية من حماته ومن إخوته وإخوتها . .

* * *

وفى السيارة سألت « ماجدة » : إلى أين يا « صابر » ؟ . .

ـ إلى أى مكان نجلس فيه معا ونتكلم على راحتنا . .

ـ عندى .

ـ ماذا ياترى . .

ـ الشركة . . سوف توفدنا إلى القاهرة لكى نجرب نوعا من العقاقير لعلاج المعدة والأمعاء . . فسوف أحمل معى كمية كبيرة من العينات أقوم بتوزيعها على المستشفيات والعيادات . . مجانا طبعًا . .

وأنتظر رأى الأطباء والمرضى فى العقار الجديدة . . إن هذا العقار يعتمد على الأعشاب وعلى الفحم وعلى عسل النحل . . فالاتجاه العام الآن ضد استخدام الكيماويات . . لأنها مرهقة للمعدة والأمعاء . . وأحيانا ضارة جدًا . .

ـ متى؟ . .

ـ بعد أربعة شهور .

ـ لماذا أربعة ؟ . .

ـ مفاجأة . .

ـ فى عرضك كفى مفاجآت . .

ـ لأننى أريدك أن تلدى فى مصر بين والدتك ووالدتى وإخوتى وليس هنا وحدك . .

ـ ربنا يخليك يا « صابر » . . أنت تفكر فى كل شىء . . فكرة جميلة . . لم تخطر على بالى . ولكن لابد أننى سأحتاج إلى أحد إلى جوارى . . وخصوصًا أننى عندى إحساس قوي بأننى سوف ألد توءمين !

ـ ماهذا ؟

ـ إحساس . .

ـ إحساس قوى كأحساسك بزواجنا . .

ـ شىء كهذا . . .

ـ بنتان طبعًا . .

ـ ربنا أعلم . .

ـ يارب أبعث لنا بنتين زى القمر . .

ـ زى أبوهم طبعا . .

ـ فشر زى أمهم . . والله قمر ١٤ « ماجدة » . . والله زى القمر. . اللهم لك الحمد والشكر ونسمى التوءمين إيه ؟ . .

ـ صبرك يا « صابر » . . مستعجل على إيه . . بس أولد أولا . .

ـ إن شاء بالسلامة . فيه حاجة مضايقانى جدا . .

ـ خير إن شاء الله .

ـ أبدا حاجة فى الشغل .

ـ إيه .

ـ مش أنا لكن أنا مندهش أن الشركة كان بها عدد من المصريين . أطباء وصيادلة . . وتركوها . .

ـ تركوها لماذا ؟

ـ لم يتركوها ولكن الشركة طلبت منهم أن يتركوها . . أنا متضايق جدًا . . الشركة عظيمة جدًا . . وكل شىء فيها منظم . . وكل شىء علمى ودقيق . . ليه بعض المصريين لا يحترمون النظام . . ليه يجعلون الناس يشكون فى التعامل مع أى واحد مصرى بعد ذلك .

ـ ماذا حدث ؟

ـ ولا حاجة . . ترددت الشركة فى أن تبعث بى فى هذه المهمة إلى مصر . . لأنهم أرسلوا واحدًا من أربع سنوات . . فباع العينات ولم

يعد إلى فيينا . . مع أن ثمنها تافه ولكن هذه العينات هى خلاصة أبحاث قام بها علماء الشركة وأطباؤها وجربوها فى أماكن مختلفة من العالم . . وكان هدفهم أن يروا نتائج هذه العقاقير فى مصر . . وأكثر من ذلك كان فى نيتهم أن يجعلوا واحدًا من هؤلاء الصيادلة المصريين وكيلاً للشركة فى مصر . . وغير ذلك من تصرفات صغيرة جدًا . . تافهة جدًا . . ولكنها أساءت لسمعة المصريين جميعًا . . ولولا أنهم وضعونى تحت الرقابة الشديدة جدًا ، ما كانوا عرضوا علىّ هذه المهمة وكلفونى بأن أكتب تقريرًا عنها . . صحيح أنا لست صيدليًا لكن عندى معلومات عامة وسوف يرافقنى أحد الصيادلة النمساويين وليس المصريين تصورى !!

ـ خسارة . .

ـ أنا نسيت أقول لك أن عندنا عشاء مهما جدا أقامته « مرجريت » فى مطعم والديها . .

ـ ولكن ليس عندى فستان جديد .

ـ ولا يهمك . . إنه عشاء ضيق جدًا لن يحضره إلا نحن . . وأسرة الحاج « عبد اللطيف » وماما . .

ـ ولماذا هو مهم . .

ـ أنا قلت مهم ؟

ـ إيوه . .

ـ أقصد من المهم أن نحضره لأن « مرجريت » تريد أن تقدم لنا

طعامًا جديداً فى هذا المطعم . .

- . . . .

* * *

ودخلوا جميعا المطعم الصغير الأنيق . . « صابر » و « ماجدة » ووالدة « صابر » معا . .

ثم جاء الحاج « عبد اللطيف » وابنته « ثريا » وابنه « عبد الفتاح » وزوجته البولندية . .

وكان فى انتظارهم صاحبا المطعم والدا « مرجريت » . . الأب فى غاية الأناقة والشياكة والأم أيضًا . .

ووراءهما باقة ورد كبيرة وجلسوا إلى المائدة والشموع وفجأة دخلت «مرجريت» ترتدى فستانًا أبيض ومعها مدير المستشفى النمساوى . . المستشفى الذى كانت تتعالج فيه أمه . .

وتساءلت « ماجدة » : إيه ده فرح ؟

- نعم .

- فرح مين ؟

- فرح « مرجريت » !

- إزاى ؟

- إنها أصرت على الطلاق عندما علمت بزواجنا . .

- والله ما أروعك يا « مرجريت » . . إنها أعظم إنسان قابلته فى

حياتى . . كيف تفكر بهذا الجمال والعقل . .

وبكت « ماجدة » وهجمت على « مرجريت » تقول لها : من كل قلبى أتمنى لك السعادة يا أعظم وأجمل سيدة فى الدنيا . .

وقدمت « مرجريت » زوجها زميل الدراسة الابتدائية والثانوية : د. « هانز شلجل » مدير عام مستشفى الأمراض الباطنية بمدينة جراتس . .

الحلقة الأخيرة

وفى الصباح جلست « ماجدة » و « صابر » يتناولان طعام الإفطار . .

« ماجدة » : أنت مالك .

« صابر » : يعنى .

ـ يعنى إيه . . أنا لم أستطع أن أنام . . إن الذى حدث بالأمس هزنى هزًا عنيفًا . . كيف استطاعت « مرجريت » أن تتصرف بالعقل، رغم حبها الشديد لك . .

ـ ولكن بسبب حبها لى . فهى حريصة على هذا الحب . . وحريصة على سعادتنا الزوجية . . فمن أجل أن نظل أصدقاء وعندنا ذكريات حلوة قررت أن تبتعد وأن يكون ذلك محترما . . فهى تزوجت صديقًا قديما وأحد أقاربها . . هو فى حاجة إلى زمالة . . إلى بيت وأسرة وهى أيضًا . . وهو خرج من قصة حب فاشلة حطمت أعماقه . . وهى أيضًا . . هو صارحها وهى صارحته أيضًا . . وقررا

أنه من الممكن أن يعيشا معا وأن يتساندا . . وهى أقوى منه بكثير جدًا . . وهو فى حاجة إلى شخصية بهذه القوة والطيبة والصدق . . ولن يجد أفضل منها فى كل النمسا . .

ـ إنهم يختلفون عنا . . كأن هذا الذى أسمعه لا يمكن أن يحدث فى مصر وبهذا الاحترام والرقة والأدب والذوق . . مستحيل . . كيف يتفق الناس هكذا . . دون ضجة ودون شعارات . . هى أحبت ولم تستطع أن تكمل حياتها مع من تحب . . ولكن لابد أن تعيش . . هى تعيش محترمة والحب يعيش فى قلبها . . مع احترامها للظروف التى تغيرت هنا وهناك . . وزوجها أيضًا . . ولكن قل لى كيف طلبت الطلاق منك ؟ . .

ـ هى لم تطلب الطلاق . . ولكن هى قررت الطلاق . . فعندما تزوجنا اشترطت أن تكون العصمة فى يدها . . حتى لا أعيش على الرغم منى معها ولا هى على الرغم منها . . وكانت بعيدة النظر . . وهى عاقلة دائمًا . . وقالت لى : أنا أعرف وأفهم وأقدر وأحترم العلاقات الإنسانية ومستحيل أن أبنى سعادتى على تعاستك أو تعاسة زوجتك أو ابنك . . ما كان بيننا سوف يبقى محترما عندنا . .

ـ يا سلام . . إيه ده . . الناس بتفكر إزاى . . إيه العظمة دى . . وبعدين يا « صابر » . .

ـ ذهبنا معا إلى القنصلية وتم الطلاق وسجلناه . واتفقنا على أن يظل ذلك سرا بيننا وطبيعى أن أحترم رغبتها . .

ـ إذن كل ذلك حدث قبل أن أجىء إلى هنا . .

ـ عندما علمت من بعض المصريين ـ لا أعرف من هم ـ أننى سوف أتزوج . . ولابد أنها عرفت أكثر من ذلك . . ولكنها لم تقل لى شيئًا . . وإنما أبلغتنى قرارها .

ـ وكانت حزينة ؟

ـ نعم . .

ـ هل بكت ؟

ـ أنا الذى بكى . .

ـ أنا لو مكانها كنت بكيت أيضًا . . ولكن يجوز بكت بعيدًا عنك . . أو من المؤكد أنها بكت ولم ترد أن تريك ضعفها أو أن تؤثر عليك . . منتهى العظمة والاحترام يا « مرجريت » وهل أبلغت أحدًا غيرى . .

ـ ماما . . بناء على طلبها هى . .

ـ فماذا كان شعورها . .

ـ والله لقد بكت أمى بكاء شديدًا وراحت تبوسها فى خديها وفى رأسها وفى يديها . . وقد تأثرت « مرجريت » إلى أقصى درجة حتى انهارت هى الأخرى . .

ـ وأنت رأيت ذلك ؟

ـ لا . . ماما قالت لى . .

ـ وكان فى المستشفى أحد ؟

ـ لم يكن هناك أحد سوى مدير المستشفى .

ـ هو رأى كل ذلك ؟

ـ نعم .

ـ ولم يتضايق . .

ـ إنه رجل عاقل . . وهو قدّر مشاعرنا . . فقد كان هو الآخر يحب . . وقد انفصل عن زوجته باحترام عظيم . . وسار كل واحد فى طريق . .

ـ الله الله إيه الأخلاق دى . . إيه الناس دى . . والله أنا ما كنت أتصور شيئًا من ذلك إلا فى الأفلام الرومانسية جدًا . . ولو رأيت فإننى لا أصدق كل ذلك . . وأجد فيه مبالغة غير معقولة . . ولكن الذى أعايشه فوق احتمال القلب والعقل ! أنا مش عارفة اتلم على أعصابى . . أنا لم أنم ليلة أمس . . لقد هزنى هذا الحادث السعيد . . أو هذا القرار العجيب من « مرجريت » . . وأنت جالك نوم ؟

ـ لم أنم يوم قررنا الطلاق . . ولا يوم عرفت من الذى سوف تتزوجه . . ولم أعرف كيف أقول لها . . أشكرها . . أو أهنئها . . كل الذى حدث أننى انهلت على يديها أقبلها . . وأبكى . . أنا بكيت أمامها . . ولكنها لم تبك . . وإنما بكت عند أمى . .

ـ أنا خائفة . .

ـ من أى شىء ؟

ـ أنا عندى إحساس كأن الدنيا تنتهى . . كل شىء ينتهى . . صحيح نهاية سعيدة ولكن لا أعرف ما الذى سوف يجىء بعد

ذلك . . هل الظروف سوف تتركنا بهذه السعادة والله أنا خائفة جدًا . .

ـ لا تخافى . . ربنا كبير . . الحمد لله على كل شىء . .

ـ خائفة . . كنت خائفة أول الأمر ألا أجد أحدا فى فيينا . . ولكن وجدت من الأصدقاء المخلصين أضعاف الذين كنت أجدهم فى القاهرة . . ووجدت من المشاعر ما لم أسمع وما لم أقرأ وما لم أكن أصدقه لو جاء فى الكتب أو فى الأفلام . . بالضبط لا أعرف هل أنا سعيدة لأن « مرجريت » تزوجت فابتعدت عنك . . أو هل لأنها تزوجت . . أو هل لأنى ازددت حبا وإعجابا بها . . مش عارفه . .

وراحت تبكى . . وانهارت على المقعد . .

* * *

اليوم عشاء كبير عند الحاج « عبد اللطيف » . . وهو رجل صيدلى هاجر من مصر من حوالى ٣٧ عاما . . وهو أبو المصريين فى هذه المدينة . . يعرفهم جميعًا . . وإذا واحد منهم وقع فى مشكلة هو وحده الذى يحلها . . فى وزارة الداخلية فى وزارة الخارجية فى السفارة . . فى الشارع . . وهو الوحيد الذى يستطيع أن يشخط فى أى مصرى وأحيانا يضربه . . والشبان يرون أنه والدهم وصاحب الفضل عليهم . . ويرون فيه نموذجا للكفاح والنجاح . . لقد رأى وجرب وسمع وتعذب من كل الأوضاع الصعبة التى واجهته عندما جاء من المنصورة لا يعرف إلا عشرين كلمة إنجليزية وخمس كلمات ألمانية . . وقد باع كل ما يملك من أرض ورثها عن والديه وجاء

وعنده إصرار على أن يكون شيئًا .

وكانت مغامرة أول الأمر . . من شاب فى الثانية والعشرين من عمره . . وبعدها بسنة أو سنتين يعود إلى مصر . . ولكن المغامرة انتقلت إلى مغامرة إلى مغامرة وانتقل من عمل إلى عمل . . ومن بلد إلى بلد ومن زوجة إلى زوجة . . واحدة مصرية ماتت وواحدة مجرية طلقها . . وواحدة المانية هربت مع واحد أميركانى . . وقرر أن يبقى وأن يعمل . . وبعد أن تجمع لديه مبلغ كبير من المال اشترى البيوت والدكاكين وقرر أن يعيش ويسافر شرقا وغربا . . وأن يأتى بأولاده وبنى لهم بيتا ويعيشون معه وحوله . .

وهو طول عمره رجل شيك . . وابن حظ وابن نكتة . . يشرب ويرقص وأول من يهنىء وأول من يعزى . . وهو أبو الجميع بشهادة الجميع . .

وفى التليفون قال الحاج « عبد اللطيف » لـ « ماجدة » : ياعروسة أنا عاوزك تلبسى أبيض فى أبيض . . لازم . .

« ماجدة » : أمرك ياحاج . .

ـ كل الستات أنا طلبت « منهم يلبسوا » أبيض . . علشان تبقى ليلة بيضاء علينا جميعا . . وسنة بيضاء . . خلاص . .

ـ خلاص يا حاج . .

ـ حاجة ثانية قولى لجوزك يلبس بدلة غامقة . . رسمى . . أنا أحب الرسميات ، والنمساويون هنا علمونا الضبط والربط . . وأنا

نمساوى خدى بالك . . أنا هنا قبل أنت ما تتولدى . . وقبل أمك ماتتولد كمان . .

ـ هاها . . هاها . . حاضر ياحاج . .

ـ يابنت ما تقوليش ياحاج عيب . . تقولى حاضر يابابا . فكلكم هنا أولادى .

ـ حاضر يابابا . .

ـ أهوه كده !

* * *

أما شقة الحاج « عبد اللطيف » فهى فى نفس العمارة ولكن فى الدور الأخير . . وهو قد فتح شقتين بعضهما على بعض . .

وكان الحاج « عبد اللطيف » قد دعا معظم الجالية المصرية . . وكل رجال السفارة وزوجاتهم . . وطبعا « مرجريت » وزوجها . . ولم يكد الباب ينفتح حتى انطلقت رائحة البخور . . جو مصرى شرقى . . مع أغنيات أم كلثوم . .

وفجأة سكتت الموسيقى . .

ووقف الحاج « عبد اللطيف » . . وفتح الستار عن تورتة العروسين . . واستعدت «ماجدة » لكى تقطع التورتة . . ووقف إلى جوارها « صابر » ومنعها . . ولاحت الدموع تنزل من عينى «ماجدة» . . عندما انطلقت موسيقى : اتمخطرى ياحلوة يازينة . .

وتقدم الحاج « عبد اللطيف » . . وفتح باب غرفة مجاورة لتخرج

الحاجة « عديلة » فى فستان أبيض . . إنها هى العروسة . .

وصفق الحاضرون وانهارت « ماجدة » . .

وحاول الطبيب إسعافها . . ولكن « صابر » قال له : إنها حامل . . وسعيدة بهذه المفاجأة الكبرى ! .

مبروك ياعريس . .

مبروك ياعروسة . .

مبروك لنا جميعا . . مبروك .

ويتساءلون كيف استطاعوا إخفاء هذا الخبر . . متى كان التعارف . . فى المستشفى وكيف أقنع « صابر » والدته . . وكيف كتم هذا الزواج وكيف لم يتحدث أحد من السفارة عن هذا الخبر السعيد . . وكيف أن السفير الذى هو قريب « ماجدة » والذى زارها مرات عديدة لم يخبرها بهذا الزواج الذى تم من أسابيع عديدة !

* * *

وفى نهاية الحفل وبعد أن أفاقت « ماجدة » من انهيارها . عانقها وقبّلها . . وقال لها : آخر مفاجأة !

ـ فى عرضك يا « صابر » إلا إذا كنت عاوزنى أموت . .

أرجوك . . أنا اكتشفت أن قلبى ضعيف . . وأننى لا أقوى على هذه الأخبار السعيدة . . فى عرضك يا « صابر » فى عرضك أبوس إيديك . . حرام عليك . .

ـ ليس مفاجأة سارة ولا حزينة . .

ـ ليست مفاجأة . . وإنما نمشى ونذهب إلى مكان ونتوقف عنده لحظات . .

ـ ما هذا المكان ؟ أرجوك .

ـ لا تخافى . . أنا حريص على الطفل وعلى سلامتك . . وهو مكان له معنى خاص عندى . . له معنى تاريخى . . فى تاريخى أنا . . ولن يضايقك ذلك . . ولن يجعلك فى الوقت نفسه تموتين من الفرحة . .

ـ أين ؟

ـ قريبا من هنا . .

ـ « صابر » فى عرضك . .

ـ قلت لك لا تخافى . .

وتوقفت السيارة . . ونزل الاثنان إلى ما تحت أرض أحد ميادين فيينا . . وطلب منها « صابر » أن تقف . . وسبقها إلى مكان بعيد وجلس على الأرض وأسند ظهره للحائط . .

ـ مش فاهمه . .

ـ من هنا بدأت مشوارى إليك . . من هنا كانت رحلتى فوق سطح الأرض . . كنت هنا وحدى . . والآن لم أعد وحدى . . هنا كنت خائفًا . . واليوم كل شىء معى . . أنت وابنى وابنتاى (يضحك) وأمى وأحبائى . . مشوار طويل ولم يكن صعبا . . ولم أحقق فيه مستحيلا . . وإنما حققت كل ما هو ممكن بتعب وشرف وكرامة وحب !

رقم الإيداع ٢٨٨٢ / ٩٤
I.S.B.N 977 - 09 - 0205 - 5

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

إلا فاطمة

كانت للكاتب الكبير أنيس منصور قصة غريبة مع قصة (عريس فاطمة) من أكثر من ثلاثين عاما . . كتب حكاية فاطمة . ولم يكملها . وتركها أكثر من عشرين عاما . ثم أكملها . وجاءت التكملة محاكمة من البطلة فاطمة للمؤلف نفسه . . ثم ظهرت على الشاشتين الكبيرة والصغيرة . .

وهاهى ذى فاطمة مرة أخرى تعاود الظهور . . فإن لم تكن هذه رواية فهى قصة طويلة . . وإن لم تكن قصة فهى مشروع لقصة . . أو لاصطدام أبناء حضارتين معا فى فيينا عاصمة النمسا . .

وهى تتحدث عن فاطمة وأخواتها . . وعن عدد من المصريين (الجدعان) أولاد البلد . . بكل سلبياتهم وشهامتهم أيضا . .

وفى خيوط الحب والصدق والخوف والشجاعة والأمل هذا الثوب الضيق . . الذى يتسع ويشمل الدنيا كلها . .

ولابد أن ألوف المصريين الذين سافروا إلى قارات الدنيا قد التقوا بواحدة . وليكن اسمها فاطمة . وقامت فاطمة هذه بدور الأم والأخت والزوجة . . بل من الممكن أن يكون فى حياة المهاجر إلى الدنيا الواسعة أكثر من فاطمة . حدث . وسوف يحدث . .

وكاتبنا الكبير أنيس منصور يقـدم لك فاطمة وحولها عشرات الشبان المصريين . . هل حـدث له ذلك ؟ يجوز . . هل الذى حدث من الممكن أن يتكرر ؟ لقد حدث . .

وفى عباراته السهلة الجميلة الدافئة ، وفى لمساته النفسية وهمساته الفلسفية ، أنت مع أحب الكتاب إلى قلوب الناس منذ أكثر من أربعين عاما . . ولايزال . .